دار الثقافة

أديب نجيب سلامة

العائلة المقدسة في مصر

العائلة المقدسة في مصر

مع أحوال المجتمع المصري
في بداية القرن الأول الميلادي

إعداد
أديب نجيب سلامة



طبعة أولى

العائلة المقدسة في مصر
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠/ ٨٦١ ط ١/١-١/ ٢٠٠١
رقم الإيداع بدار الكتاب: ٤٠٨٢/ ٢٠٠١
I.S.B.N. 977 - 213 - 556 - 6
جمع وطبع: بمطبعة سيوبرس
رقم الكود: ١٠١٠٠٢٨٤

تصميم الغلاف: **شادى أديب**

مقدمة الدار

يعد هذا الكتاب خلاصة دراسة علمية عميقة استخدم الكاتب في إعدادها المنهج التاريخي، حيث رجع لأغلب ما كتب عن رحلة العائلة المقدسة إلى مصر وتبين له أن العلماء الأوائل الذين درسوا هذه الرحلة كانوا من الكاثوليك والإنجيليين ، مما يؤكد أن هذه الرحلة هي مكون هام فى تراث الكنيسة المصرية ،

درس الكاتب أيضاً المناطق المتفق بين أغلب الكُتَّاب على زيارة العائلة المقدسة لها ، وعند الحديث عن هذه الأماكن يعرض الكاتب لأهميتها التاريخية، ويشير إلى مختلف التقاليد المحلية في هذه المناطق حول رحلة العائلة المقدسة.

ويحاول الكاتب في هذه الدراسة أيضاً الإجابه على أسئلة طرحها البعض ومنها :

- كيف دبرت العائلة المقدسة نفقات الرحلة ؟
- ما هى المصادر التاريخية ، التى تدلنا على المواقع التي يعتقد فى مرور العائلة المقدسة بها ؟
- ما هى المدة التى قضتها العائلة المقدسة فى مصر؟

وأياً كانت الخلافات في الرأي حول خط سير العائلة المقدسة، فإننا نتمسك بالحقيقة الكتابية أن السيد المسيح جاء إلى بلادنا الحبيبة مصر مع أمه العذراء مريم ويوسف النجار وعاش فترة على أرضها وشرب من ماء نيلها .

دار الثقافة

في هذه الدراسة

صفحة

تمهيد: مصادر كتابة تاريخ الكنيسة ٨

أولاً: وصف مختصر للمجتمع المصري في القرن الأول الميلادي: ١٧

مركزية الإدارة ١٩

التقسيم الإداري ٢٠

السكان ٢١

فروع النيل ٢٤

اللغة السائدة ٢٦

الآلهة التي كانت تعبد في المناطق التي يعتقد مرور العائلة المقدسة فيها ٢٨

ثانياً: الأسس الكتابية لمجيء السيد المسيح إلى مصر ٣١

.... وهل يهرب السيد المسيح؟ ٣٦

متى جاء السيد المسيح لمصر؟ ٣٨

ثالثاً : مصادر خط سير العائلة المقدسة في مصر ٣٩

رابعاً: محطات الرحلة بحسب المصادر المعروفة: ٤٧

١– الفرما ٤٨

٢– تل بسطا ٥١

صفحة

٣- بلبيس	٥٥
٤- المحمة (مسطرد)	٥٧
٥- دقادوس	٥٨
٦- سمنود	٦٠
٧- سخا وما حولها	٦٣
٨- آون (المطرية وعين شمس)	٦٥
٩- بابيلون (مصر القديمة)	٧٠
١٠- العبور من المعادي إلى منف	٧٦
١١- منف	٧٩
١٢- البهنسا	٨١
١٣- دير الجرنوس	٨٣
١٤- جبل الطير	٨٥
١٥- الأشمونين	٨٧
١٦- ديروط الشريف	٩٧
١٧- حاجر أنصنا	٩٨
١٨- دير أبو حنس	١٠٢

صفحة

١٩- بئر السحابة ١٠٣

٢٠- كوم ماريا ١٠٤

٢١- جبل قسقام (الدير المحرق) ١٠٥

٢٢- درنكة ١٠٨

- رحلة العودة ١٠٩

- المراجع ١١٠

- الملاحق ١١٦

تمهيد

مصادر كتابة تاريخ الكنيسة

بينما كنت أعد مادة هذا الكتاب كانت لي حوارات شتى مع بعض الأصدقاء المهتمين بالتاريخ الكنسي، كما تابعت بعض الكتابات في بعض الصحف التي تساءلت حول مصادر ما يكتب عن خط سير العائلة المقدسة في مصر، وقد شدني ذلك للتوسع في دراسة مصادر التاريخ المصري بوجه عام والكنسي بوجه خاص.

و"التاريخ" يعرف بأنه تعبير عن الاهتمام الإنساني الخاص بالماضي البشري واهتمام كل جماعة إنسانية بماضيها: كيف ولماذا نشأت وتطورت وعاشت وأنتجت ثقافتها وحاجاتها المادية والمعنوية وكيف كانت علاقاتها بالآخرين والعلاقات الداخلية بين أفرادها وأجيالها وطبقاتها. وهذا هو وصف حديث نسبياً، لأن تحديد صفات ومناهج واهتمامات علم التاريخ قد تغيَّر عدة مرات، مع كل تغير طرأ على الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية للمجتمعات المختلفة.

وفي العصر الحديث تطور هذا العلم منذ كتب جيبون تاريخه لروما (القرن السادس عشر) ومنذ كتب دافيد هيوم تاريخه لانجلترا.

وعن تاريخ مصر القديمة يذكر عمر الإسكندري و أ.ج. سفدج[(١)] أن تاريخ قدماء المصريين مستمد من مصدرين أساسيين هما:

الآثار القديمة وما عليها من كتابات ونقوش وهو المصدر الأوثق. ومع فك طلاسم اللغة المصرية القديمة بعد اكتشاف حجر رشيد سنة ١٧٩٩، أصبحت دراسة تاريخ مصر في العصر الفرعوني ميسورة، من خلال قراءة الكتابات المدونة

---

(١) عمر الإسكندري و أ.ج. سفدج، "**تاريخ مصر إلى الفتح العثماني**"، مكتبة مدبولي، ١٩٩٦ ص١.

على جدران المعابد والمقابر الفرعونية. أما المصدر الثاني فهو ما كتبه قدماء المصريين أو معاصروهم في تاريخ وادي النيل، وهذا لم يصل إلينا منه إلا النذر اليسير وأكثره يفتقر إلي إثبات، إلا إذا أيدته الكشوف الأثرية.

وأقدم الكتابات التي وصلت إلينا في هذا الصدد هي ما كتبه هيرودوت المؤرخ اليوناني والذي يعتبره علماء التاريخ المؤسس لهذا العلم (حوالي سنة ٤٥٠ق.م.)، وإن كان بعض ما كتبه غير موثوق به، إذ كان أكثره مستمداً من الأقاصيص المتداولة على ألسنة العامة.

وفي حوالي سنة ٢٦٣ ق.م. كتب مانيتون وهو مؤرخ مصري من سمنود، تأريخاً لمصر باللغة اليونانية، وقد ضاع معظم نص هذا الكتاب، ولم يصل إلينا إلا ما عنى بنقله وحفظه مؤرخو القرون الأولى بعد ميلاد السيد المسيح.

وفي القرون الأولى للميلاد عُرفت كتابات ديودور الصقلي واسترابون وهما يونانيان وتحتاج كتاباتهما إلى أدلة.

أما بالنسبة لتاريخ الكنيسة المصرية في القرون الأولى للمسيحية، فيعتبر كتاب يوسابيوس القيصري (٢٦٤- ٣٤٠) من أقدم المصادر، لذا فإن يوسابيوس يلقب بأبو التاريخ الكنسي، وقد كتب في مقدمة كتابه في هذا الصدد يقول:

"إنني ألتمس لعملي معذرة الحكماء، لأنني أعرف بأنه فوق طاقتي أن أقدم تاريخاً وافياً كاملاً. وطالما كنت أول من يلج هذا الباب فسأحاول اجتياز هذا الطريق الموحش الذي لم يطرقه أحد قبلي".

وقد أشاد في كتابه هذا بذكر كنيسة الإسكندرية والأدوار الهامة التي لعبتها في القرون الأربعة الأولى للمسيحية بحسب ما عاصر يوسابيوس وبحسب ما قرأ

لمن كتبوا قبله وما سمع من شهادة الناس.

وهناك مجموعة من الآباء الأجانب الذين زاروا مصر وكتبوا عنها، أمثال بلاديوس" المولود عام ٣٦٤م، ويوحنا كاسيان والذى يعتقد أنه فرنسي، والايطالى روفينوس، وچيروم الذى ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية، وفي القرن السابع كتب يوحنا أسقف نقيوس (زاوية رزين بمحافظة المنوفية حالياً) والذي سامه أسقفاً البطريرك أغاثون(٦١٦- ٦٦٧) وهو البطريرك رقم ٣٩ في تعداد بطاركة الإسكندرية، كتب تاريخاً آخر، تناول فيه تاريخ الكنيسة حتى الفتح العربي لمصر.

وفي نفس القرن كتب الأنبا زخارياس أسقف سخا نصاً تاريخياً آخر يعتبر من المصادر الرئيسية للحديث عن رحلة العائلة المقدسة إلى مصر- وأقدم نسخة عربية لهذا النص محفوظة بمكتبة كنيسة أبو سرجة بمصر القديمة بالقاهرة برقم ١٢٣ مسلسل ٣٠ لاهوت.

ويوجد من نفس القرن نصين للأنبا قرياقص، أحدهما عن مجيء العائلة المقدسة إلى شرقي البهنسا وتوجد نسخة عربية لهذا النص محفوظة بكنيسة أبو سرجة برقم ١٠٧ مسلسل ٤ لاهوت. والآخر عن مجيء العائلة المقدسة إلى موقع الدير المحرق بجبل القوصية، وأقدم نسخة عربية لهذا النص محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٦٣ .

وفي القرن العاشر كتب ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين "تاريخ البطاركة" والذي جمع مادته من مخطوطات باللغة القبطية، كانت محفوظة في دير أبو مقار ودير نهيا بالإضافة إلى عدة أديرة بالصعيد، ولكنه كتب النص باللغة العربية وهو بذلك يعتبر أول من كتب مخطوطات عربية من رجال الدين الأقباط، وقد أرخ ساويرس للكنيسة المصرية حتى عهد البابا يوساب الأول (٨٣٠- ٨٤٩م)

وقد استكمله بعده الأنبا ميخائيل أسقف تنيس"Tennis" والذي أرخ حتى عهد الباب سانوثيوس (١٠٣٢- ١٠٤٦م)، وفي العصر الحديث ساهم في استكماله د. عزيز سوريال عطية وأوزوالد بورمستر وأنطوان خاطر.

إلى جانب هذه المصادر فهناك المخطوطات القديمة والتي تحتفظ بها بعض الأديرة والكنائس إلى جانب مكتبة المتحف القبطي ومكتبة البطريركية، وسبق أن قام مرقس سميكة مؤسس المتحف القبطي بحصر لهذه المخطوطات (نشر الجزء الأول عام ١٩٣٩ والثاني عام ١٩٤٢)، كما قام العالم الألماني چورچ جراف بحصر آخر نشر بالألمانية تحت عنوان Geschichte der Christeichen arabis-chen Literatur (تاريخ الأدب العربي المسيحي) وهو خلاصة بحث لهذا العالم، استغرق زهاء نصف قرن، ويقع الكتاب في خمسة مجلدات، طبعت في روما باللغة الألمانية بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٥٣، ويعكف على ترجمته إلي العربية منذ سنوات الأب سمير خليل اليسوعي، والذي يرجع إليه الفضل في دراسة وتحقيق ونشر العديد من المخطوطات القبطية المكتوبة في اللغة العربية.

وهناك أيضاً مكتبة مخطوطات دير سانت كاترين بسيناء، والتي تعد من حيث الأهمية ثاني مكتبات العالم بعد مكتبة الفاتيكان، وتضم نحو ثلاثة آلاف مخطوطة باللغات اليونانية والقبطية والعربية والأرمنية والأمهرية، ومن بين مخطوطاتها السجل السرياني ويعود لسنة ٧١٧م وكان قد أهداه للدير الامبراطور ثيئودسيوس الثالث، وكان من بين مخطوطاتها أيضاً النسخة السينائية للكتاب المقدس، وقد قام الدكتور عزيز سوريال عطية بحصر لهذه المخطوطات.

ويمكن للباحث في تاريخ الكنيسة دراسة تلك المخطوطات دراسة علمية مع مراجعة الظروف التاريخية التي كتبت فيها، وأيضاً شخصية الكاتب وأسلوب الكتابة، بما يعاون على التحقق من المادة المتضمنة في المخطوطة.

إلى جانب ذلك هناك مصدر ثالث هو **التقاليد الشفاهية** المتداولة بين الناس، والتي تتناقلها الأجيال، **لكنها تحتاج إلى فحص ومراجعة.**

وجاء في مجلة الكرازة أنه عند دراسة التاريخ يجب أن يلاحظ عدم خلط التاريخ بالفلكلور والذي يشمل قصصاً شعبية متداولة تدخل أحياناً في جو من الخرافات، وتضيف هذه الدراسه إنها توجد أحياناً في بعض الميامر والمخطوطات، وللأسف فإن بعضها أدمج في بعض الكتب الطقسية وفي سير حياة بعض القديسين[١].

وبالنسبة لمسيرة العائلة المقدسة إلى مصر فقد اعتمد الكُتّاب الأوائل الذين كتبوا عنها على بعض المخطوطات إلى جانب التقاليد الشفاهية في بعض المناطق، كما سيرد ذكره في مكان آخر بالكتاب.

من الدراسات السابقة حول رحلة العائلة المقدسة لمصر:

كتبت أ.ل. بوتشر (١٨٩٧) في تأريخها للأمة القبطية عن رحلة العائلة المقدسة لمصر تقول إنه من بين القطع الأثرية المصريه المحفوظة في لندن، لوحة ترجع للقرن الأول الميلادي، عنوانها: **سنة الرب**، تصور الاحتفال الذي كان يقيمه الفراعنة للآلهة، وفيه يسير المغنون، يتبعهم الضاربون على العود وبينهم فتيات تضربن بالطبول والدفوف، وتتقدم هذا الموكب الإلهة إيزيس، محمولة على أكف الشرف والفخار ومعها ابنها حورس، جالساً على ركبتيها، وأثناء مرور الآلهة في هذا الموكب يأتي الناس بمرضاهم على جانب الطريق، كي ينالوا الشفاء والعافية. ووسط هذه اللوحة يرى ركباً بسيطاً قد انزوى جانباً ليفتح الطريق خلفهما زوج هذه السيدة وهو رجل ريفي يسير مترجلاً وقد أضناه الكلل وطول المشقة، **وتتساءل بوتشر:**[٢]

---

(١) **مجلة الكرازة**، العددان ١٧ و١٨، ٢٨ مايو ١٩٩٩، ص ١٥ و١٦ .

(٢) بوتشر، أ.ل.، **تاريخ الأمة القبطية** (الجزء الأول)، ترجمة تادرس شنوده المنقبادي، ص ٢٣و٢٤ .

ترى هل هذا الركب البسيط كان ركب العائلة المقدسة، كما شاهده الفنان المصري القديم وهو ينقش هذه اللوحة؟

وأشارت بوتشر إلى أن العائلة المقدسة مرت بالقنطرة ومنها إلى عين شمس وبابيلون، التي يرجّح أن العائلة المقدسة سكنت بها فترة، حيث كان ليوسف أقارب أو أصدقاء هناك، فسكنت العائلة المقدسة حيث كان يقيم هؤلاء.

وكتب أيضاً القمص منسى يوحنا (١٨٩٩– ١٩٣٠) مشيراً إلى نبوات العهد القديم عن مجيء العائلة المقدسة لمصر، والآراء المختلفة حول عمر السيد المسيح حين جاء إلى مصر، كما تحدث عن **نفقات الرحلة** فقال إنه من الواضح أن **العائلة المقدسة كان لديها الذهب الذي أهداه المجوس للسيد المسيح، كما أن يوسف كان نجاراً ماهراً مجتهداً، وكان يستطيع أن يدأب في مهنته، ليلبي حاجات العائلة المقدسة** [1]. وفي سنة ١٩٣٣ كتب العالم الهولندي الأب يعقوب موزر دراسة هامة بعنوان: **دخول السيد إلى مصر وهو أكبر حدث في تاريخ مصر والصفحة الأولى من مسيحيتنا**، مجلة الصلاح، مارس ١٩٣٣، أشار فيها إلى المصادر التي يمكن من خلالها تتبع خط سير العائلة المقدسة في مصر وفي مقدمتها، كتاب السنكسار القبطي، والذي اعتمد غالباً على ما جاء في النص الشهير المعروف ب:

رؤيا البابا ثاؤفيلس [2] والتي تنسب إلى البطريرك ثاؤفيلس البطريرك الثالث

---

(١) القمص منسى يوحنا، **تاريخ الكنيسة القبطية**، القاهرة، مكتبة المحبة، طبعة ١٩٧٧ . ونفس الرأي ذكره الأب متى المسكين في كتابه: **الإنجيل بحسب القديس متى**، دير القديس أنبا مقار، ١٩٩٩ .

(٢) ولد في ممفيس، انتقل أبواه وتركاه وأخته الصغيرة في حضانة جارية أثيوبية كانت تعمل بمنزلهما، ثم تولى رعايتهما القديس أثناسيوس الرسولي، تزوجت الأخت وأنجبت القديس كيرلس الكبير، أما ثاؤفيلس فقد تدرج في العمل الكنسي حتى صار بطريركاً عام ٣٨٤م.

والعشرين من بطاركة الإسكندرية (٣٨٤- ٤١٢م) والذي كان معروفاً بسعة علمه وكثرة كتاباته، وهي عبارة عن قصة زيارة العائلة المقدسة إلى مصر، كما روتها السيدة العذراء، في رؤيا لهذا البطريرك، إبان زيارته للدير المحرق بالقوصية، مكتوبة في شكل رواية يرويها شخص اسمه كيرلس ويقول إنه سمعها من البطريرك.

ولهذه الرؤيا عدة نصوص في لغات مختلفة ومحفوظة في مكتبات متعددة، منها:

(١) نص كتب في **اللغة الأمهرية** (الحبشية) وهو محفوظ **بمكتبة المتحف البريطاني** في لندن، والصياغة فيه على طريقة حوار بين البطريرك والسيدة العذراء في رؤيا وهذا نمط أدبي معروف لدى علماء القبطيات، وكان يستخدمه الوعاظ في الكنائس مستخدمين أسماء شخصيات عظيمة، بما يضمن لعظاتهم القوة والتأثير. ترجم هذا النص إلي الإنجليزية عام ١٩٢٢ .

(٢) نص كتب في **اللغة السريانية**، مترجم عن **اللغة القبطية** ونشره العالم الإنجليزي Mingana Alphonse بعنوان **The Vision of Theophilus or the book of the Holy Family into Egypt** نشر في مانشستر عام ١٩٢٩ . وقد انتهى إلى أن كيرلس وثاؤفيلس هما شخصيتان منحولتان في عظة كان يلقيها أحد الأساقفة في عيد للسيدة العذرآء باللغة العربية، ثم ترجمت إلى السريانية على يد أحد السريان المقيمين في مصر.

(٣) نسخ مكتوبة في اللغة العربية، وعددها أربع، محفوظة في: مكتبة

الفاتيكان برقم ٦٩٨ عربي، ويرجع تاريخها لعام ١٣١٧م- مكتبة الدير المحرق رقم ٩ / ١٤ وترجع لعام ١٢٨٤ -المكتبة الأهلية بباريس- مكتبة المخطوطات بدير القديس أنبا مقار بوادي النطرون برقم ٣٨١ / ١٥ وترجع للقرن الرابع عشر. وهناك نسخة ترجع لعام ١٤٧٠ ، عثر عليها الأب اليسوعى ألكسيس ملّون، وذلك فى مكتبة الدار البطريركيه. عام ١٩٠٥ وهناك مخطوطات أخرى لم تأخذ فرصتها من الدراسة والبحث، سيرد ذكرها في مكان آخر بهذا الكتاب.

ومن الدراسات الهامة الأخرى عن رحلة العائلة المقدسة دراسة القس الدكتور أوتو مايناردوس[1] Meinardus بعنوان In The Steps of the Holy Family from Bethlehem to upper Egypt والتي نشرتها دار المعارف بمصر عام ١٩٦٣، وقد اعتمد فيها على القصص المتداولة والتقاليد الشفهية والمكتوبة.

ودراسة أخرى للعالم الفرنسيسكاني جبرائيل جامبرارديني (١٩١٧- ١٩٧٨) نشرت بالإيطالية عام ١٩٧٦ .

ويذكر الأب موريس مارتان اليسوعي: إنه منذ القرن الخامس الميلادي كانت في مصر أماكن مقدسة كثيرة، مكانان منها فقط يذكر فيهما حدث من أحداث رحلة العائلة المقدسة إلى مصر، أولهما قرب ممفيس (جنوب القاهرة) وكانت فيه كنيسة على اسم السيدة العذراء، فيها منديل يحمل آثار وجه يسوع والمكان الثاني

---

(١) قسيس إنجيلى ألمانى، ولد فى هامبورج، درس اللاهوت فى جامعتى بوسطن وهارفارد، خدم فى " كنيسة المسيح" فى نيوزيلندا واستراليا، ثم جاء إلى القاهرة (١٩٥٦) حيث تولى رعاية "(community

Church) بالمعادى ، كما قام بتدريس الفلسفة بالجامعة الأمريكية، له العديد المؤلفات والأبحاث فى تاريخ الكنيسة القبطية.

في الأشمونين وفيه شجرة تتميز بخصائص شفائية، يقال أنها انحنت عند مرور يسوع ومريم[١].

ويذكر الأب متى المسكين أن أغلب المؤرخين ومنهم العالم الألماني Paulus لم يذكروا إلا مدينة المطرية المجاورة للمدينة العتيقة: لينتوبوليس- أما في تقليد الكنيسة القبطية فمعروف أن العائلة المقدسة مرت بوادي النطرون وعاشت في بابليون، وهذا معقول للغاية، لأن الجالية اليهودية كانت تتمركز هناك، ونزلت إلى قسقام وجبل الطير وأسيوط وأماكن أخرى عديدة[٢].

---

(١) موريس بيار مارتان اليسوعي، **مريم العذراء في مصر: إكرامها ومزاراتها**، ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٠، ص ٢١ و٢٢ .

(٢) الأب متى المسكين، مرجع سابق، ص ١٦٣ .

أولاً

وصف مختصر للمجتمع المصري

في الوقت الذي جاءت فيه العائلة المقدسة

على أثر موقعة أكتيوم (٣١ق.م) التي هزم فيها أغسطس أكتافيوس كل من كليوباترا وأنطونيو، صارت مصر إحدى ولايات الامبراطورية الرومانية، وبذلك أصبحت آخر مملكة هلينستية[1] يتم ضمها إلى الامبراطورية الرومانية.

ودخل أكتافيوس الإسكندرية في الثامن من أغسطس سنة ٣٠ ق.م ومنع جنوده من نهب المدينة، والتي أحضر له شعبها تابوت الإسكندر الأكبر، فنثر عليه الورود كما وضع عليه تاجاً من الذهب.

ومن الواضح أن شعب الإسكندرية لم يقاوم الرومان، إما لأنه كان يعرف مقدماً نتائج هذه المقاومة، فخشي منها، وإما لأنه كان قد ضاق ذرعاً بالبطالسة، ورأى أن الحكم الروماني سوف لا يكون أسوأ من حكم البطالسة.

واحتفالاً بانتصاره في موقعة أكتيوم أصدر أغسطس أكتافيوس عملة تذكارية على أحد وجهيها صورة لمعبود الفيوم (يوخوس سبك) والذي كان يصور على شكل تمساح، وعلى الوجه الآخر كلمة Aegyptus Capta ومعناها فتح مصر.

وفي نفس المناسبة أصدر السناتو (مجلس الشيوخ) الروماني قراراً بأن يكون اسم الشهر السادس من السنة هو أغسطس، تقديراً لأكتافيوس، وأصبح هذا الشهر هو بداية التقويم المصري.

وحرَّم أكتافيوس أعضاء السناتو أو كبار العسكريين من دخول مصر أو الإقامة فيها، إلا بإذن خاص منه، خشية أن يستقل أحدهم بها، طمعاً في ثرواتها

---

(١) هي إحدى مراحل ومكونات تاريخ الثقافة الإنسانية، استغرقت الفترة بين ٣٢٣ق.م.و ٣٠ق.م، ولهذه المرحلة تاريخياً جزءان أحدهما كانت أثينا مركزه والآخر كانت الإسكندرية مركزه. وينسب اسم هذه المرحلة إلى هيلاس أحد الأسماء القديمة لبلاد اليونان.

الوفيرة.

ومن أجل الحفاظ على الأمن، والمعاونة في جمع الضرائب والتي تعددت أنواعها (كضريبة ربط البرسيم الجاف لعلف خيول الجيش الروماني، وضريبة الفاكهة والخضر، وضريبة تقوية الجسور والقنوات، وضريبة القمح وضريبة التاج) إلى جانب أعمال السخرة في تمهيد الطرق وبناء المرافق وشق الترع، تم وضع قوات عسكرية في المواقع الرئيسية والفرعية، وكانت المواقع الرئيسية في نيكوبوليس، بابيلون (مصر القديمة حالياً) وطيبة (الأقصر)، أما المناطق الفرعية فكانت سويني (أسوان) وأرسينوي (الفيوم) وهرموبوليس (الأشمونين) وقفط. كما كانت هناك ثلاث فصائل تركزت في مداخل مصر لا سيما في بيلوزيوم (قرب العريش) وعلى جانبي الدلتا وفي ممفيس(١).

مركزية الإدارة:

كانت السلطة متمركزة في روما، ولكن كان هناك والياً على مصر Praefectus Aeggpti. لقب بوالي الإسكندرية ومصر، كان مقره في الإسكندرية، وكان ينوب عن الامبراطور في حكم مصر لمدة تتراوح بين سنة واحدة وثلاث سنوات، ونادراً ما تزيد المدة، فتصل إلى أربع أو خمس سنوات. وكان يتم اختياره من طبقة الفرسان الذين يثق فيهم الامبراطور، كما أنه كان مسئولاً أمام الامبراطور مباشرة.

---

(١) دكتور صبري أبو الخير سليم، **تاريخ مصر في العصر البيزنطي**، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧ .

وفي عهد الامبراطور أكتافيوس تولى ولاية مصر تسعة ولاة هم[1]:

كورنيليوس جالوس (٣٠ ق.م)

بترونيوس (٢٦ ق.م)

إيليوس جالوس (٢٥ ق.م)

بترونيوس (مدة ثانية– ٢٤ق.م)

روبريوس بارياروس (١٢ ق.م)

تورانيوس (٧ق.م)

أوكتافيوس (١ق.م)

ماكسيموس

أكيلا

ويغلب الظن أن والي مصر وقت مجيء السيد المسيح إما كان الوالي تورانيوس أو الوالي أكتافيوس أو الوالي ماكسيموس.

التقسيم الإداري:

تم تقسيم مصر إدارياً في العصر الروماني إلى ثلاثة أقاليم هي: الدلتا، الأقاليم السبعة وأرسينوي (مصر الوسطى)، ومصر العليا، وعين لكل إقليم حاكم Epistraegos، له سلطة مدنية فقط، بعكس ما كان في عصر البطالمة، حيث كانت

(١) دكتور ناصر الأنصاري، **موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم**، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٧، ص ٤٥ .

السلطتين المدنية والعسكرية في يد الوالي، أما الرومان فجعلوهما في يد الامبراطور وحده. وكانت في مصر أربع مدن رئيسية منذ العصر البطلمي هي الإسكندرية ونقراطيس (في غرب الدلتا) وبطلمية (الأقصر) وبريتوريوم (مرسى مطروح)، ثم أسس الامبراطور الروماني هادريان مدينة خامسة هي هرموبوليس ماجنا (الأشمونين بمحافظة المنيا) حوالي سنة ١٢٠م وبعدها بعشر سنوات أسس مدينة أنتينوبوليس (الشيخ عبادة).

كما تم تقسيم كل إقليم إلى طوبارخيات (مراكز إدارية) يرأس كل منها طوبارخيس (مأمور) وتم تقسيم كل طوبارخية إلى عدة قرى، يرأس كل منها كاتب. وقد ظلت الطبقة العريضة من الفلاحين تمارس حياتها العادية في هذا العصر وكانت معاناتها فقط هي من وطأة الضرائب.

وواصل المصريون بناء معابدهم، وزخرفتها بطريقتهم، ولكن نقشت صوراً لبعض الأباطرة يرتدون الزي الفرعوني ووضعوا اسم الامبراطور داخل خرطوشة وذلك بالهيروغليفية[١].

سكان مصر في هذه الفترة:

عاشت في مصر في العصر الروماني جنسيات عديدة منها:

١- **المصريون:** وهم السكان الأصليين، وقد فرض الرومان عليهم ضرائب عديدة بالإضافة إلى السخرة. قسَّم الرومان الشعب المصري إلى قسمين، أولهما

(١) نافتالي لويس، **الحياة في مصر في العصر الروماني**، ترجمة دكتور آمال الروبي، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧، ص ١٧ .

السكندريون وهؤلاء اعتبروا مميزين عن باقي السكان بسبب مكانة مدينة الإسكندرية وتاريخها، وتم منحهم بعض الامتيازات منها إعفائهم من ضريبة كانت تسمى بضريبة الرأس، أما غير السكندريين فطبقت عليهم تلك الضريبة والتي كانت ملزمة لكل من يبلغ سن الرابعة عشرة.

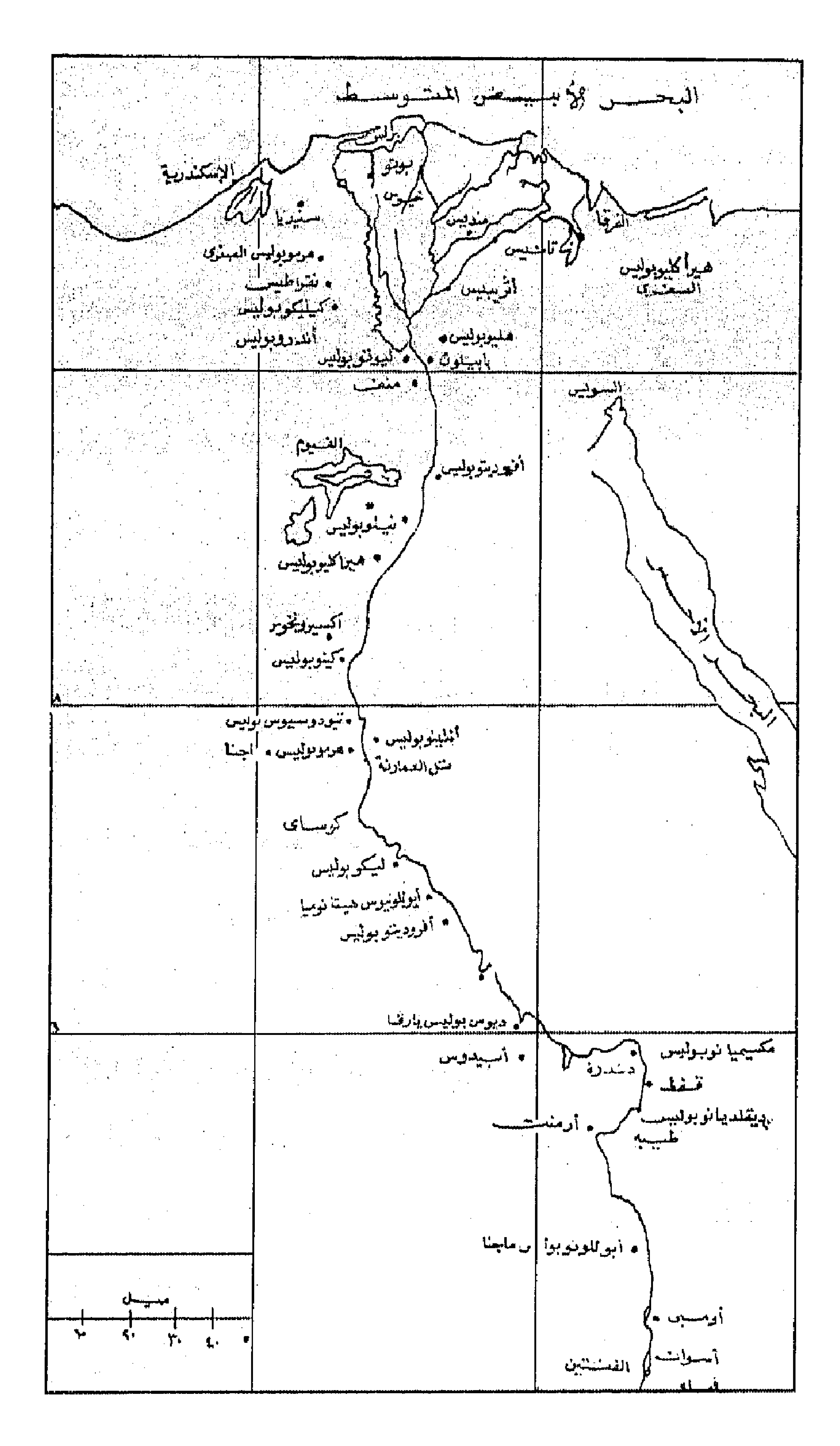
٢- **الرومان**: وهؤلاء كان عددهم قليلاً وهم أصلاً ممن توافدوا إلى مصر كأفراد في الجيش، ثم سرحوا، أو جاءوا للتنزة ثم استقروا أو بعض البطالمة الذين حصلوا على الجنسية الرومانية.

٣- **اليونانيون**: والذين جاءت المجموعات الأولى منهم مع الإسكندر الأكبر عند فتحه لمصر في عام ٣٣٢ ق.م، وكانوا يتمتعون بمزايا كثيرة منها إعفاء أراضيهم الواقعة داخل حدود المدينة من الضرائب وأيضاً الإعفاء من السخرة. وقد اختلط اليونانيون بالمصريين وخاصة في الريف وتصاهروا معاً ومارسوا الكثير من العادات والتقاليد المصرية.

٤- **اليهود**: وهم جالية قديمة في الإسكندرية، وكان بطليموس الرابع قد قتل ٤٠ ألفاً من يهود الإسكندرية. وفي عهد بطليموس الثاني ترجم العهد القديم إلى اليونانية وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية، وذلك في الإسكندرية بواسطة ٧٢ من علماء اليهود، ومنهم الفيلسوف فيلو. وقد بلغ عددهم حتى منتصف القرن الأول الميلادي نحو مليون نسمة.

هذا بالإضافة إلى جاليات أخرى أثيوبية وسورية وعربية وفارسية وهندية.

وكانت مصر مزرعة للقمح، ومنها يصدر إلى روما، لتغطية ثلث احتياجها



خريطة مصر فى العصر الرومانى

السنوي، كما ازدهرت فيها صناعات كالنسيج والزجاج، وصار ميناء الإسكندرية من أهم المواني التجارية في الامبراطورية الرومانية.

النيل في بداية القرن الأول الميلادي:

حتى نستطيع التعرف على ملامح خط سير العائلة المقدسة في مصر، فمن الأهمية بمكان أن نتعرف على وضع نهر النيل في بداية القرن الأول الميلادي والمدن التي كانت تقع على أو قرب فروعه.

لقد كتب هيرودوت (٤٥٠ ق.م) يقول إن للنيل خمسة فروع هي[(١)]:

١- **الفرع البيلوزي (أو البوباستي)** وهو الذي كان يمد شرق الدلتا قديماً بالمياه، وكان يمر بالقرب من بوباستيس (تل بسطة) وغالباً كانت مبانيها تمتد إلى شواطئه.

وقد جاء في كتاب وصف مصر (ج٣ ص ٢٢ من ترجمة **زهير الشايب**) أن الإسكندر الأكبر أدخل أسطوله من هذا الفرع، والذي تسد الرمال مجراه الحالي، لكنه أثناء الحملة الفرنسية شوهدت فتحته التي كانت تؤدي إلى البحر عند بيلوز.

٢- **الفرع التانيسي (أو السياتيكي)** وكان يبدأ من أتريبيدس (تل أتريب بجوار مدينة بنها الحالية)، وهو حالياً كما جاء في كتاب وصف مصر (بحر مويس) الذي يبدأ عند قرية جمجرة قرب بنها أيضاً ويمر في محافظة الشرقية،

---

(١) علي رفاعة الأنصاري، بين الماضي والحاضر، بحث في كتاب: **الشرقية وسيناء**، الزقازيق، منطقة الزقازيق التعليمية، ١٩٤٩، ص ٥-٧ .

ويعتقد أن موسى النبي ألقى فيه، ومن تفرعاته ترعة تصل إلى هربيط وهي إحدى المواقع التي يعتقد في مرور العائلة المقدسة بها. وفي دراسة **دي بوا- ايميه** المنشورة في كتاب **وصف مصر**، يعترض هذا الباحث على تسمية كل من هيرودوت والباحث الفرنسي لارشيه لهذا الفرع باسم الفرع السياتيكي ويرى أن اسمه الفرع التانيسي فقط، وأن الخطأ في التسمية جاء بسبب التشابه في اللغة المصرية القديمة بين اسمي سايس (صان الحجر بالغربية حالياً) وتانيس (صان الحجر بالشرقية حالياً)[1].

٣- **الفرع المنديسي** (نسبة إلي منديس والتي يعتقد علماء الحملة الفرنسية أنها أشمون الحالية، ويعتقد أن مكانه الآن هو البحر الصغير).

الجدير بالذكر أن الفرعان التانيسي والمنديسي كانا يصبان في مكان تشغله بحيرة المنزلة حالياً.

٤- **الفرع السبنيتي** (نسبة إلى سمنود).

٥- **الفرع الكانوبي** (الهيرقلي، أو فرع أبي قير).

أما فرع دمياط الحالي فكان مجرد قناة صغيرة تسمى **بوكوليك**، وفرع رشيد كان قناة صغيرة أيضاً تسمى **بولفين**، وقد أضافهما سترابون (القرن الأول الميلادي) لفروع النيل، وبالتالي جعلها سبعة فروع بدلاً من خمسة.

وفي دراسة للباحث الفرنسي دي بوا ايميه حول الفروع القديمة لنهر النيل قال

(١) علماء الحملة الفرنسية، ترجمة زهير الشايب، **وصف مصر**، الجزء الثالث، القاهرة مكتبة الخانجي، ١٩٨٤، ص-ص ٣٧١-٤١٠ .

إن الفرعان البيلوزي والكانوبي كانا يشكلان قمة الدلتا ويحداها من الشرق والغرب، وكان الفرع البيلوزي يمر ببلبيس وتل بسطا وفاقوس ويمتد حتى سهل الطينة (بحسب التسميات الحالية)، وهذه المدن الأربع تقع ضمن المناطق التي يعتقد في نزول العائلة المقدسة فيها.

ويذكر الدكتور رشدي سعيد أن الزراعة في مصر في هذا الحين، كانت طيبة، وأن أدنى منسوب للفيضان كان خمسة أذرع (٤٨ ق.م) وأعلى منسوب كان ١٨ ذراعاً (٤٥م).

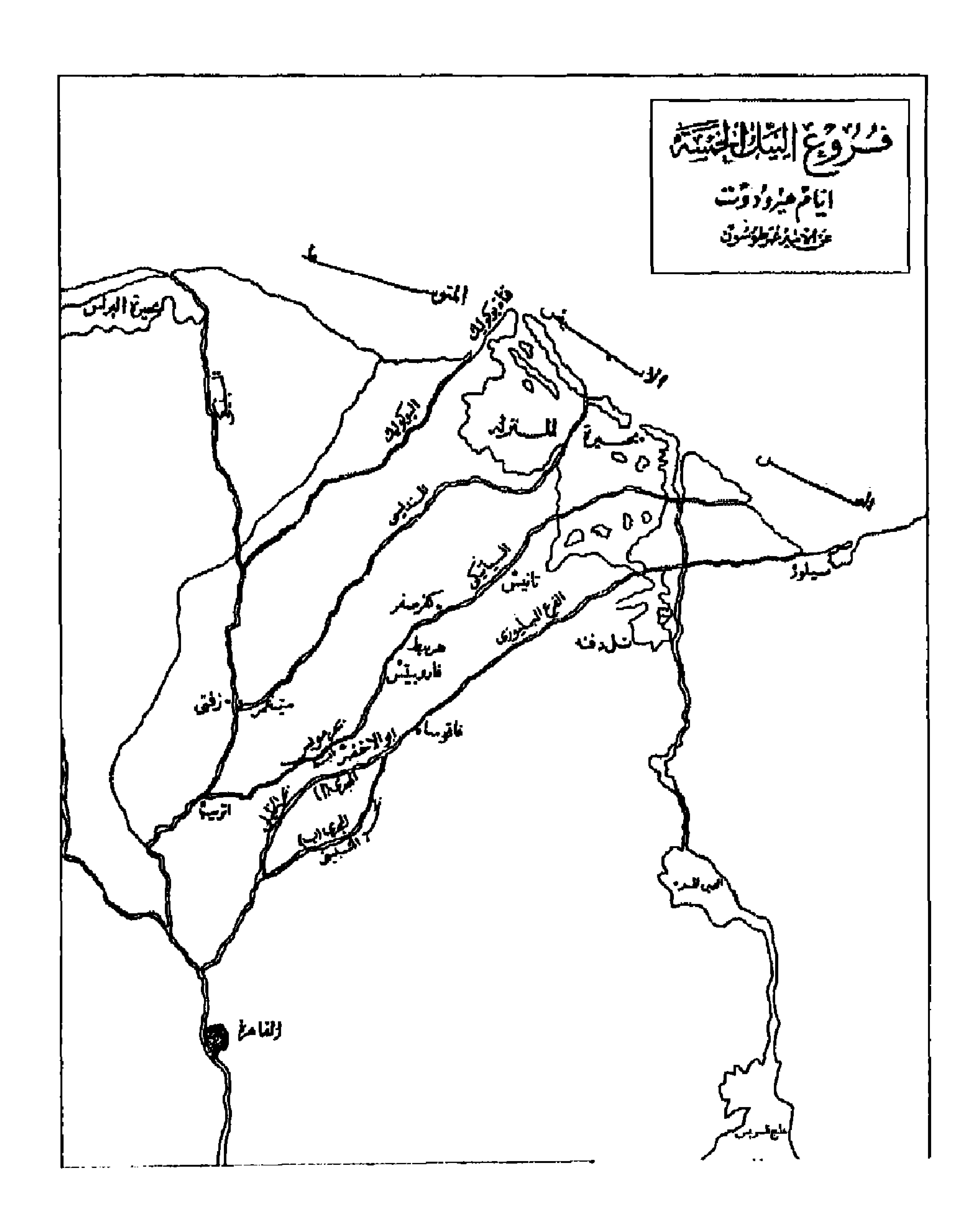
ويضيف أنه لابد أن الأمطار كانت أكثر تردداً في العصر اليوناني الروماني، فقد كانت الصحراء تعج بالحركة، والطرق مليئة بالقوافل، كما ازدهر تعدين الذهب والزمرد وقطع الأشجار(١).

اللغة السائدة:

كان الخط الديموطيقي، أحد خطوط اللغة المصرية القديمة، هو السائد وقت زيارة العائلة المقدسة لمصر، وكان قد بديء في استخدامه منذ الأسرة السادسة والعشرين حوالي ٦٦٠ ق.م بواسطة تجار أخميم، إذ وجدوه أسهل في المكاتبات التجارية، وظل مستخدماً حتى القرن الرابع الميلادي، حيث وجد الأقباط أنه خط معقد لتحرير الأمور العادية، فاستبدلوه بحروف يونانية. عددها ٢٤ حرفاً، فيما

---

(١) دكتور رشدي سعيد، **نهر النيل: نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل**، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٣، ص ١٧١ و ١٧٢ .


فروع النيل الخمسة
أيام هيرودوت
عن الأمير عمر طوسون
بحيرة البرلس
المنزلة
البوكولي
السبنيتي
تانيس
الفرع البيلوزي
زفتى
القاهرة

عدا سبعة حروف (شاي، فاي خاي، هوري، جنجا، اتشيما، تي) لم يكن لها نظير في اليونانية وهكذا تأسست اللغة القبطية، والتي كان لها خمس لهجات: البحيرية (وكانت مستخدمة في الدلتا) والصعيدية والأخميمية والفيومية والمنفية، وظلت اللغة القبطية هي اللغة المتداولة في مصر حتى بداية القرن الثامن الميلادي(١).

الآلهة المصرية(٢) التي كانت تعبد في بعض المناطق التي يعتقد مرور العائلة المقدسة فيها:

١- **تل بسطا**: كان معبودها هو الآلهة باستت (القطة) والتي كان يغلب عليها على حد تعبير الأثري الفرنسي فرانسوا دوماس الوداعة(٣)، وقد عثر على المعبد الرئيسي لها عام ١٨٨٧ وكان يتصدر تمثال ضخم لهذه الآلهة، وهناك مشروع لإعادة تركيب المعبد باستخدام قطعه المفككة المتاحة حالياً.

٢- **هربيط**: كانت مركزاً لعبادة حر- مرتي أي حورس ذي العينين، وكانت هاتان العينان هما الشمس والقمر وقد انتزعهما منه الإله ست ثم أعادهما إليه الإله تحوت- والاسم اليوناني لهربيط هو "فربيتس"، كان يمر بالقرب منها فرع النيل التانيسي.

---

(١) الأب يعقوب موزر، **جان فرانسوا شامبليون كاشف الكتابة واللغة الهيروغليفية**، الزقازيق ١٩٣٢، ص ١٧.

(٢) تشيد التقاليد المتداولة عن رحلة السيد المسيح إلى مصر، إلى تحطم الأوثان في المناطق التي دخلها الرب، والأوثان المقصودة هي الآلهة التي كانت تعبد في تلك المناطق، والتي نذكرها هنا.

(٣) فراسوا دوماس، **آلهة مصر**، ترجمة زكي سوس، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦، سلسلة الألف كتاب الثاني (١٠).

٣- سخا: كان معبودها القديم هو الإله رع، وفي أيام الدولة الوسطى أصبح آمون رع وكان يصحبه الآلهة تفنوث وشو، وفي العصر البطلمي عُبِّد فيها الثالوث أمون- رع وموت-خنسيو وحر- أختي.

٤- عين شمس: كان معبودها هو الإله رع، والذي بلغ طول جانب واحد من فناء معبده حوالي الكيلو متر، كما كان بها أيضاً معبدين لكل من أتوم وحورس، وقد أجريت في هذه المنطقة حفائر أثرية كثيرة منها حفائر **الدكتور عبد العزيز صالح** التي بدأت منذ عام ١٩٧٥ وتم خلال خمسة عشر عاماً الكشف عن ثلاثة معابد هامة، كما تم الكشف عن سور حجري ضخم على عمق ستة أمتار تحت سطح الأرض بطول ٢٥ متراً واحتوت طبقاته نحو ٥٠ كتلة حجرية منقوشة تزن الواحدة من ١-٢ طن، وهو بقايا لمعبد أثري ضخم يرجع غالباً إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقد أضيفت له أجزاء جديدة في القرن التالي.

٥- منف: عُبد فيها الإله بتاح إله الحرفيين وبخاصة من العاملين في صناعة الذهب والذي يبدو من النقوش أن أغلبهم كانوا من الأقزام والنحاتين. كما عُبد هناك آمون إله طيبة. وعبد الكنعانيون الذين كانوا يقيمون فيها آلهة بعل وآلهات عشتار.

٦- أهناسيا: عُبد فيها الإله حرسافس، الذي كان له وجه كبش.

٧- هرموبوليس (الأشمونين) كان معبودها الرئيسي هو الإله تحوت إله الحكمة والمعرفة، والذي كان يقابل الإله هرمز عند الإغريق، وإلى جانبه كانت هناك

معبودات أخرى مثل الآلهة شبس وأونوت (الثعبان أو الأرنب) ومين حورس ونحمت تاوي وسخمت وخنوم وحاتحور وآمون رع وغيرها.

ثانياً

مجيء السيد المسيح إلى مصر

الأسس الكتابية

وردت في العهد القديم عدة نبوات، تشير إلى مجيء السيد المسيح إلى مصر، ثم عودته منها إلى فلسطين، منها:

النبوات التي وردت في سفر إشعياء النبي

(قبل السيد المسيح بحوالي ٧٠٠ عام):

هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها (إش ١٩: ١):

وقد تحققت هذه النبوءة بحسب ما جاء في إنجيل القديس متى (٢: ١٣و١٤)، حيث ظهر ملاك الرب ليوسف النجار في حلم قائلاً له: **قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام "يوسف" وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر.** وتجمع التقاليد الشرقية والغربية على أن السيدة العذراء والطفل يسوع جاءا إلى مصر يمتطيان حماراً، وسار يوسف النجار إلى جانب الحمار ممسكاً بمقوده (كما هو متبع في الشرق)، وهي فكرة قريبة مما جاء في الخروج ٤: ٢٠، ويعتقد أنه قد صحبت العائلة المقدسة في رحلتها إلى مصر سالومي أم ابني زبدي (مرقس ١٥: ٤٠ و١٦: ١) وانظر أيضاً (متى ٢٠: ٢٠ و٢٧: ٥٦). وهناك رأي آخر بأن سالومي كانت قابلة من بيت لحم[1].

---

(١) دكتور ميخائيل مكسي اسكندر، **المسيح في مصر**، مكتبة المحبة، ١٩٩٩ ص١٢، وهو قد رجع في هذا الموضوع إلى كتابي السنكسار والدفنار وأيضاً كتاب ولس بدج: Legends of Our Lady Mary, The Perpetual Virgin, London, 1922

ومن النبوات الأخرى التي ذكرها الوحي في سفر إشعياء:

× في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود، يقال لإحداها مدينة الشمس. في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر (إشعياء ١٩: ١٨-٢٠):

وقد ذكر البابا كيرلس الكبير (٤١٢- ٤٤٤م) البطريرك ٢٤ أن المذبح المقصود في هذا النص هو الكنيسة المسيحية التي قامت على أنقاض الهياكل الوثنية [١].

ويقول القس عبد المسيح لبيب إن المدن الخمس هي أون (عين شمس) وتحفنحيس (تل دفنة) وبابيلون (مصر القديمة) وسين (أسوان) وتل اليهودية- أما المذبح فربما كان معبد حونياس في تل اليهودية أو معبد اليهود في أسوان[٢]، وهذا الرأي يخالف الرأي السائد بأن موقع المذبح هو كنيسة السيدة العذراء في الدير المحرق قرب أسيوط حالياً.

ورأى الأب فيجارو (١٩١٩) أن العمود الذي كان موجوداً عند تخوم مصر هو مسلتين مصريتين نقلتا في أيام سليمان النبي من عين شمس ووضعتا أمام معبد أورشليم والذي كان قريباً من الحدود المصرية[٣].

---

(١) ايريس حبيب المصرى، **قصة الكنيسة القبطية**، جـ١، ص ١٨ .

(٢) القس عبد المسيح لبيب، **مصر والمصريون في الكتاب المقدس**، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ١٣٩ . الجدير بالذكر أن القس عبد المسيح يحمل درجة الدكتوراه في الآثار في رسالة موضوعها الأسرة المصرية الأولى، نشأتها وبدايتها التاريخية.

(٣) إبراهيم صبري ومكاري أرمانيوس والقمص روفائيل سامي، **وثائق تنشر لأول مرة عن رحلة العائلة المقدسة لأرض مصر**، القاهرة، ٢٠٠٠ ص ٣٤ .

فيُعرف الرب في مصر، ويعرف المصريون الرب ويقدمون ذبيحة وتقدمة (إشعياء ١٩: ٢١).

نبوة هوشع (٧٧٢ ق.م):

من مصر دعوت ابني (هوشع ١١: ١)

ففي مصر حفظ الله ابنه في أمان، ومن مصر دعاه سريعاً ليتمم عمله الفدائي، إتماماً لهذه النبوة. ويتفق علماء التفسير، على أن الرب اختار مصر، لمجيء العائلة المقدسة إليها هرباً من بطش الطاغية هيرودس لأنها طوال تاريخها، كانت ملاذاً للأنبياء، بدءاً من إبراهيم وسارة زوجته (تك ١٢: ١٠-٢٠)، حيث جاءا إليها من بئر سبع بسبب الجفاف وبالتالي عدم إمكانية زراعة الحنطة، فوجد في مصر القوت اللازم له ولماشيته وقد رحب به الحاكم الذي كان مقيماً في صوعن (صان الحجر بالشرقية حالياً) وكان ذلك حوالي سنة ٢٠٩١ ق.م وفقاً لحساب A Ling[1] ص ٢١، وسنة ١٨٥٠ ق.م بحسب القس عبد المسيح لبيب ص ١٤ . وإليها جاء يوسف (تك ٣٩) في حوالي سنة ١٦٦٦ ق.م (بحسب القس عبد المسيح لبيب ص ٢٦) بعدما اشتراه التجار الاسماعيليون من إخوته بعشرين شاقلاً من الفضة، والذي عيَّنه فرعون كالرجل الثاني بعده وأعطاه خاتمه واختار له زوجة مصرية هي أسنات ابنة فوطي فارع أحد كهنة آمون، وتغير اسم يوسف (أصبح

---

(1)A Ling, Charles F., **Egypt and Bible History From Earliest Times To 1000 B.C,** Michigan, Baker Book House, 1981, p 21.

صفنات فعنيخ) وعاش يوسف في مصر نحو ٩٣ عاماً.

وهو الذي دعا والده يعقوب أبو الأسباط للمجيء إلى مصر (تك ٤٦)، وذلك حوالي سنة ١٦٤٤ ق.م، وكان سن يعقوب آنذاك ١٣٠ عاماً[1] ومات بها بعد ١٧ عاماً، وقد أسكنهم أرض جاشان (في الشرقية حالياً ومن بلادها فيثوم ورعمسيس)، وعاش بنوه في مصر نحو ٤٣٠ عاماً، عاصروا فيها الهكسوس والأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة. وفي مصر ولد موسى (خروج ٢: ١-١٠)، ومعنى هذا الاسم هو المنتشل من الماء، الذي تربى في بيت فرعون وتهذب بكل حكمة المصريين (أع ٧: ٢٢). تسلم الوصايا العشر على جبل سيناء وشاهد العليقة المشتعلة دون أن تحترق (خر ٣). ثم جاء إليها جميع الشعب وأقام في تحفنحيس حوالي سنة ٦٠٩ق.م (٢مل ٢٥: ٢٦ وإر ٢٦: ٢١).

وفي مصر ولد يشوع بن نون، وأيضاً هارون شقيق موسى النبي الذي ولد ومات فيها (خر ٤: ١٤). وجاء إليها دانيال النبي، وارميا (أر٤٢: ٦ و٧) (ويعتقد أن رفات إليشع النبي ويوحنا المعمدان وإرميا النبي موجودة بمصر[2].

الجدير بالذكر أن اسم مصر ورد في الكتاب المقدس ٥٨٤ مرة (٥٦٠ في العهد القديم و٢٤ في العهد الجديد). كما وردت كلمات: مصري، مصرية، مصريات، مصريون ١٢٠ مرة منها ١١٥ مرة في العهد القديم.

ويارك الله مصر قائلاً "مبارك شعبي مصر" (إشعياء ١٩: ٢٥) وقيل عنها "كجنة الرب كأرض مصر" (تك ١٣: ١٠).

---

(١) القس عبد المسيح لبيب، **مصر والمصريون في الكتاب المقدس**، مرجع سابق، ص ٤٥ .

(٢) إبراهيم صبري ومكاري أرمانيوس والقمص روفائيل سامي، **مرجع سابق**، ص ٢٨ و٢٩ .

وذكرت في الكتاب المقدس العديد من المدن المصرية مثل آون (حزقيال ٣٠: ١٧) و (إرميا ٤٣: ١٣) وأسوان (حزقيال ٢٩: ١٠) وبعل صفون (خروج ١٤: ٢) وتحفنحيس (إرميا ٤٣:٦و٧ ،٤٤: ١، وحزقيال ٣٠: ١٨) وحانيس (إشعياء ٣٠ :٤) وسكوت (خروج ١٢: ٣٧ و١٣: ٢٠) وصوعن (العدد ١٣: ٢٢ وإشعياء ١٩: ١١ ، ٣٠: ٤ وحزقيال ٣٠: ١٤) ورعمسيس(تكوين ٤٧: ١١) وفيبسته (حزقيال ٣٠: ١٧) وغيرها.

كما ورد إسم سيناء ٤١ مرة وذكرت باسم جبل حوريب ١٨ مرة وجبل الله ٦ مرات. وأشير إلى نهر النيل في إشعياء ١٩: ٧ ويشوع ١٣: ٣ وإر ٢: ١٨ .

وهل يهرب السيد المسيح؟

لقد هرب السيد المسيح مع السيدة العذراء ويوسف النجار إلى مصر، بناء على ما قاله الملاك ليوسف النجار، ولكن هذا الهرب لم يكن عن خوف، فقد كان يمكن للرب أن يميت هيرودس الملك "أنا أنا هو وليس إله معي أنا أميت وأحيي" (تثنية ٣٢: ٣٩ وانظر أيضاً صموئيل الأول ٢: ٦ والملوك الثاني ٥: ٧).

وكان من الممكن أن يبقى السيد المسيح في فلسطين ولا يراه جنود هيرودس، فبسلطان اللاهوت كان ممكناً أن لا يرونه، فهو الذي جاء عنه في الكتاب المقدس أن اليهود استشاطوا كلهم غضباً، وقاموا وراحوا يدفعون به إلى خارج المدينة، حتى جاءوا به إلى قمة الجبل، الذي كانت مدينتهم مقامة عليه، كي يطرحوه من هناك إلى أسفل، ولكنه مر في وسطهم ومضى (لوقا ٤: ٢٨-٣٠). وجاء عنه أيضاً في مطاردة اليهود له، فرفعوا حجارة ليرجموه. وأما يسوع فتوارى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم، وهكذا مضى" (يوحنا ٨: ٥٩). وجاء في إنجيل يوحنا

ومضى واختفى عنهم (يوحنا ١٢: ٣٦). انظر أيضاً لوقا ٢٤: ٣١ ويوحنا ٣٠: ٧ و٤٤ و٨: ٢٠[١].

ويقول يوحنا ذهبي الفم أن السيد المسيح هرب إلى مصر إتماماً لنبوة هوشع النبي القائل: "من مصر دعوت ابني"، ولكي يظهر لتابعيه أنه اضطهد من بدء حياته على الأرض وإلى آخرها.

أما فولجثيوس أسقف روسب في إيطاليا (٤٦٨ - ٥٣٣) فقال: "إن السيد المسيح لم يهرب لخوف بشري، بل لتوزيع الخيرات الإلهية على مصر، ولم يهرب قهراً عن إرادته، بل إظهاراً لقدرته الإلهية".

كما قال بطرس الذهبي اللسان أسقف رافنا من أعمال إيطاليا (في نص باللغة اللاتينية، ترجمه الأب يعقوب موزر): إن هرب السيد المسيح لم يكن لخوف، بل كان سراً وكان نجاة، ما كانت حياته في أي خطر إذ كان يكتنفها جلال ألوهيته، ولم يهرب السيد المسيح لضعف بشري أو تخلصاً من الموت الذي قصده له هيرودس، وهل من المعقول أن الذي أتى ليموت يهرب من الموت؟ لكنه هرب لأجل حياة العالم، إذ أنه لو سمح أن يقتل آنئذ، لقتل قضية خلاصنا، فلو لم يهرب السيد المسيح لضاعت منا فوائده[٢].

لقد اتخذ السيد المسيح من شر هيرودس مبرراً لكي يدخل أرض مصر ويبارك شعبها، تحقيقاً للآية "مبارك شعبي مصر"، وربما أيضاً جاء اختيار مصر لتكون

---

(١) الأنبا اغريغوريوس، **المسيح يدخل مصر ويبارك شعبها وأرضها**، مقال بجريدة وطني، ٤ يونيو ١٩٨٩.

(٢) الأب يعقوب موزر، **دخول السيد إلى مصر**، مجلة الصلاح، مارس ١٩٣٣، ص ٢٣٧.

ملاذاً للعائلة المقدسة لأنها استضافت كثيراً من الأنبياء من قبل، كما سبق الإشارة

متى جاء السيد المسيح إلى مصر؟

حتى يمكن الإجابة على هذا السؤال، يلزم تحديد الزمن الذي ولد فيه السيد المسيح. وفي هذا الصدد يقول الأب يعقوب موزر[1] أن ميلاد السيد المسيح لم يكن قبل عام ٧٤٧ ولا بعد عام ٧٤٩ لتأسيس مدينة روما، وأن وفاة هيرودس الملك كانت عام ٧٥٠ بحسب نفس التقويم (طبقاً لما ذكره المؤرخ اليهودي يوسيفوس) وهذا يوافق عام ٤ ق.م.

وفي دراسة للأستاذ أقلاديوس إبراهيم[2] راجع فيها ما ذكره المؤرخ ديونسيوس السكيني (الذي أرخ للأحداث فيما بعد بداية من ميلاد السيد المسيح، فكان ذلك إيذاناً ببدء استخدام التاريخ الميلادي) من أن ميلاد المسيح كان سنة ٧٥٣ لتأسيس مدينة روما، وصحح هذا الباحث تاريخ ميلاد الرب إلى سنة ٧٤٩ لتأسيس مدينة روما.

وعلى هذا الأساس فقد يكون **والي مصر وقت مجيء السيد المسيح، كما سبق أن ذكرنا إما الوالي تورانيوس (والذي تولى الحكم منذ عام ٧ق.م) أو الوالي أكتافيوس (منذ عام ١ق.م).**

---

(١) الأب يعقوب موزر، دخول السيد إلى مصر، مجلة الصلاح، مارس ١٩٣٣، ص ٢٢٣- أيضاً راجع: وليم وهبه بباوي (محرر)، دائرة المعارف الكتابية، الجزء السابع، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٩، ص ١٢٠ .

(٢) أقلاديوس إبراهيم، عيد الميلاد المجيد: ٢٥ ديسمبر أم ٧ يناير؟، القاهرة، دار القديس يوحنا الحبيب للنشر، ١٩٩٢، ص ١٧ و١٨ .

ثالثاً

مصادر خط سير العائلة المقدسة في مصر

بحسب النص الكتابي جاء السيد المسيح مع أمه السيدة العذراء والقديس يوسف النجار إلى مصر.. ولكن ما هي تفاصيل الرحلة والأماكن التي حلت بها العائلة المقدسة إبان فترة وجودها في مصر؟

من المراجع الهامة التى يستند إليها أغلب الباحثين، **للإجابة على ذلك:**

١- مخطوطة ترجع للقرن التاسع الميلادي، محفوظة في مكتبة مورجان Morgan بنيويورك، تشير إلى رحلة العائلة المقدسة إلى مصر، لكنها لم تحدد أماكن بذاتها حلت بها العائلة المقدسة.

٢- مخطوطة محفوظة بمكتبة الفاتيكان ومكتوبة باللغة القبطية، عثر عليهاعام ١٨٨٣ ونسخ نسخة منها، الأنبا أغابيوس بشاي النائب الرسولي للأقباط الكاثوليك، وتتضمن إشارة لأسماء (بعض) المواقع التي يعتقد أن العائلة المقدسة زارتها[١].

٣- دراسة العالم الهولندي الأب يعقوب موزر، (١٨٩٦- ١٩٥٦) والذي كان راعياً لكنيسة الأقباط الكاثوليك في فاقوس حتى وفاته. وهو أحد أشهر المتخصصين في علم القبطيات Coptology في العالم، في النصف الأول من القرن العشرين، ولازالت أبحاثه من المصادر الأساسية في هذا العلم، فقد ذكر في الدراسة التي نشرها عام ١٩٣٣ أن المصادر الرئيسية التي يمكن من خلالها تتبع خط سير العائلة المقدسة في مصر ثلاثة، أولها كتاب **السنكسار القبطي** (وهو الكتاب الذي يتضمن قصص حياة القديسين موزعة على أيام السنة، بحسب

(١) الأب يعقوب موزر ،مرجع سابق، ص ص ٢٢١- ٢٤١ .

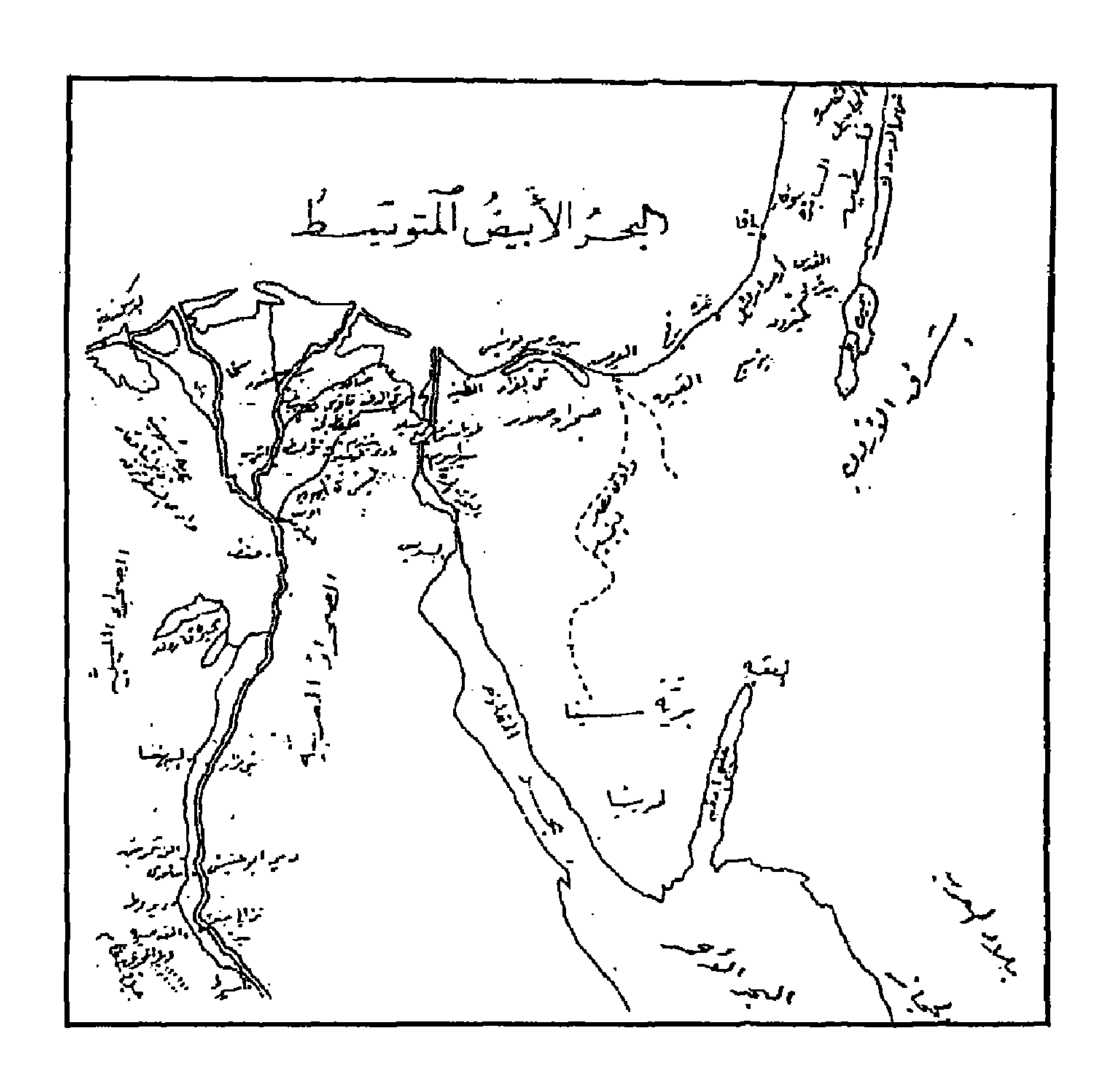
تواريخ الميلاد أو الوفاة أو بعض الأحداث الهامة في حياتهم، بالإضافة إلى مناسبات كنسية أخرى)، وغالباً اعتمد كتاب السنكسار على ما جاء في **النص المعروف برؤيا البابا ثاؤفيلس** البطريرك الثالث والعشرين من بطاركة الإسكندرية (٣٨٤- ٤١٢م) .

ويذكر السنكسار أن خط سير العائلة المقدسة بدأ عند تل بسطا بجوار الزقازيق، فهي أول بلدة أقامت فيها العائلة المقدسة فترة من الوقت، ومنها توجهت إلى هربيط بمركز أبو كبير (كان اسمها في العصر الفرعوني حسبت، واسم معبودها حر-مرتي، أي حورس ذو العينين)، ومن هربيط توجهت إلى سمنود، ثم سخا بجوار كفر الشيخ، فوادي النطرون، ثم بابيلون، فمنف ومنها اتجهوا إلى مصر العليا وحتى قرب أسيوط.

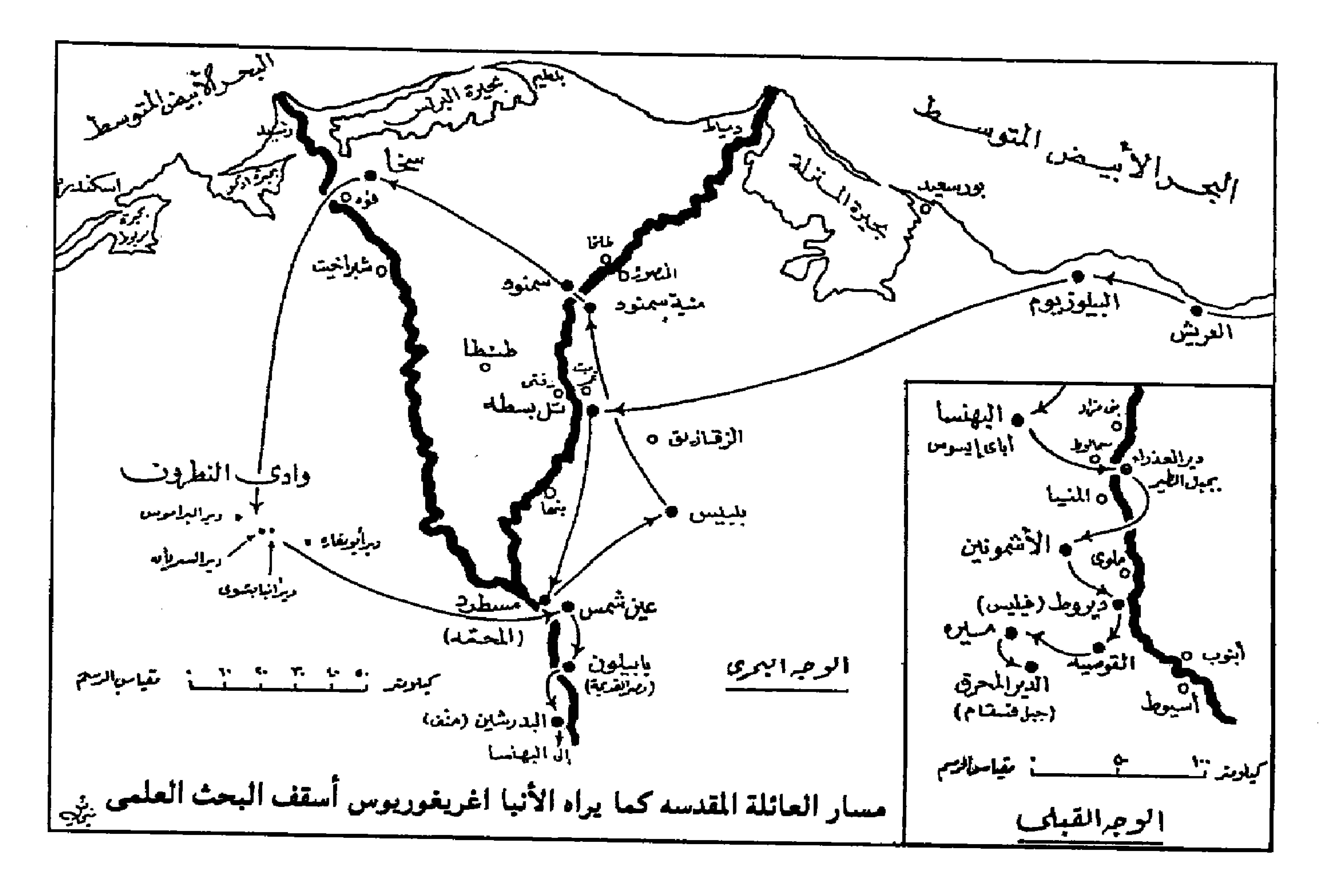
وأضاف الأب يعقوب موزراستناداً إلى كتابي: Itinerarium Antonini، وItinerarium Peutinger وهما لاثنين من الرحالة المشهورين، أنه كانت هناك ثلاثة طرق من فلسطين إلى مصر، ولابد أن العائلة المقدسة اتبعت واحداً منها هو:

١- طريق القوافل والجيوش المصرية والبابلية المعروف في الكتاب المقدس بطريق أرض فلسطين(خروج ١٣:١٧)، ويبدأ من رفح فالعريش ثم استراسين فتل الفرامه ومنها إلى سيلا قرب القنطرة ثم تحفنحيس ثم فاقوس ومنها إلى مدخل وادي طوميلات فجنوب بابليون مروراً بأتريب أو بلبيس ثم بابليون ومنها إلى منف.

٢- الطريق الذي يبدأ من غزة ومنها إلى رفح، ثم الفرامه ، فسرابيوم ثم



مسار العائلة المقدسه بخط المستشرق
الهولندى الأب يعقوب مورز



مسار العائلة المقدسه كما يراه الأنبا اغريغوريوس أسقف البحث العلمى

نفيشة (بجوار الاسماعيلية) فتل المسخوطة (المذكورة في الكتاب المقدس باسم فيثوم) وتل الرطابة وصفط الحنة، فبابيلون (مصر القديمة بالقاهرة) ثم منف.

٣- أما الطريق الثالث فهو الذي يبدأ من العريش، فوادي أم كثيب، ثم سيرابيوم، فتل المسخوطة، ثم تل الرطابة فصفط الحنة، فبلبيس، ثم أتريب، ومنها إلى أون (عين شمس والمطرية حيث شجرة العذراء مريم الشهيرة) فبابيلون، ومنف ثم الاتجاه إلى مصر العليا.

ويعتقد موزر أن العائلة المقدسة إذا كانت قد سلكت إحدى هذه الطرق الثلاثة، فقد يكون الطريق الثالث هو الذي سلكته. ولكن الدكتور الأنبا اغريغوريوس أسقف البحث العلمي بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية، يخالف الأب موزر في هذا الرأي، فهو يعتقد أن العائلة المقدسة وهي هاربة إلى مصر، لابد أن تكون قد سلكت طريقاً يخالف الطرق المعروفة، ويرجح نيافته الطريق المذكور في كتاب السنكسار القبطي المشار إليه[١].

ويرى عالم القبطيات المعروف يسى عبد المسيح (١٨٩٨- ١٩٥٩) أن خط سير العائلة المقدسة اشتمل على مواقع تل بسطا ثم منية سمنود ومنها عبرت (النهر) إلى سخا، ثم اتجهت إلى وادي النطرون، ثم إلى مصر العليا إلى الأشمونين، ثم جبل قسقام حيث دير السيدة العذراء المعروف بالدير المحرق. وفي رحلة العودة مرت العائلة المقدسة ببابيلون والمطرية ثم المحمة (مسطرد)[٢].

---

(١) الأب اغريغوريوس، الدير المحرق: **تاريخه ووصفه وكل مشتملاته**، القاهرة، أسقفية الدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي، القاهرة، د. ت، ص ٤٨ .

(٢) يسى عبد المسيح، **مجيء العائلة المقدسة إلى مصر**، مقال في مجلة الأنوار ١ / ٦ / ١٩٤٦ وأعيد نشره في رسالة مارمينا، العدد الخاص بمقالات المرحوم يسى عبد المسيح عن طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وعقائدها، الإسكندرية ١٩٨٦، ص ٨٧ و٨٨ .

المدة التي أقامتها العائلة المقدسة في مصر:

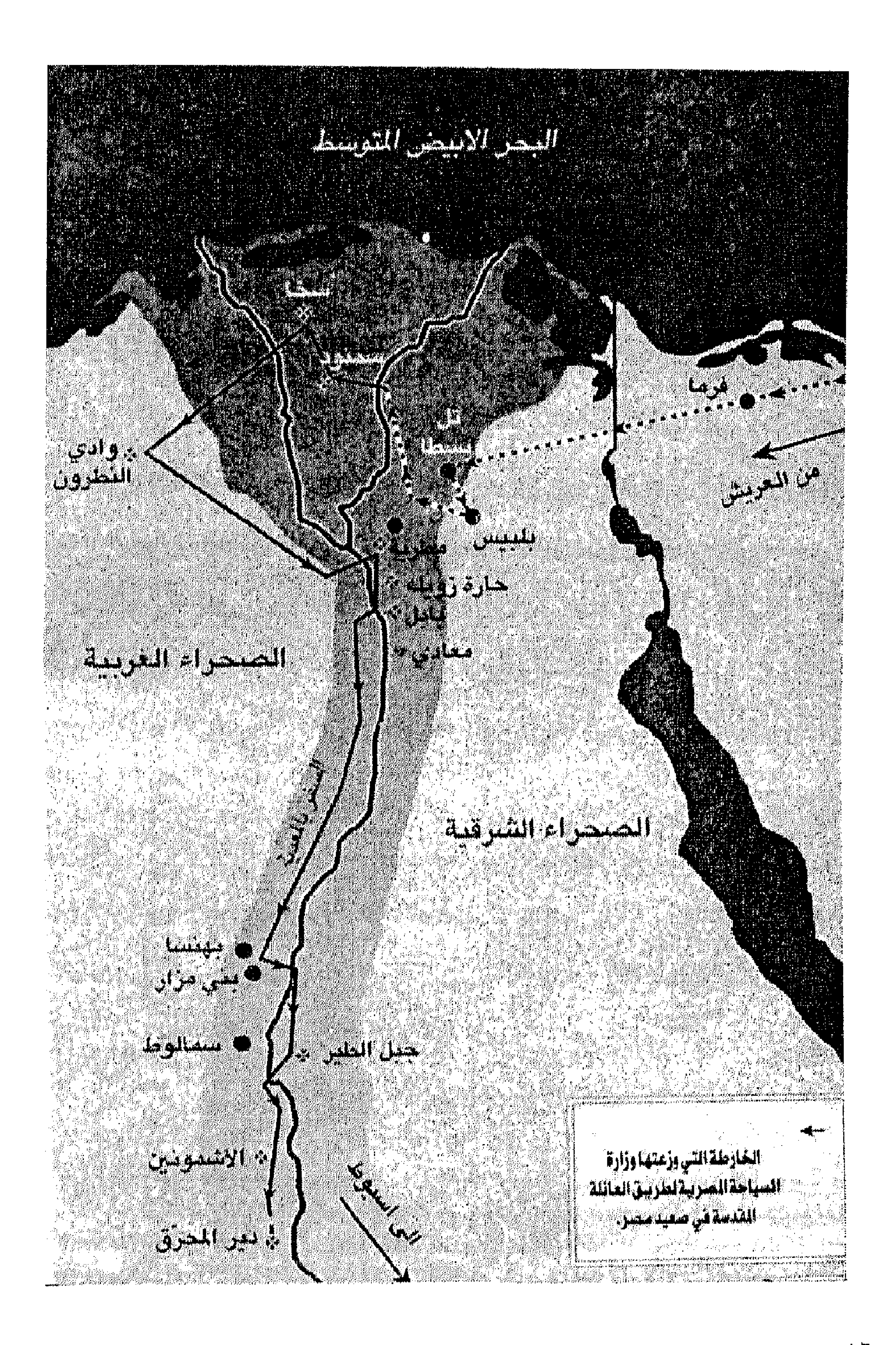
نشرت جامعة كولون فى ألمانيا عام ١٩٩٨ بردية أثرية ترجع للقرن الرابع الميلادي، جاء فيها أن السيد المسيح عاش في مصر لمدة ثلاث سنوات وإحدى عشر شهراً. والبردية مكتوبة باللغة القبطية في اللهجة الفيومية ويبلغ طولها ٣١٥ سم وعرضها ٨٤ سم، واهتمت بنشرها الأثرية الألمانية جيزا شنكل[١].

أما الأب يعقوب موزر فيعتقد أن مدة إقامة العائلة المقدسة في مصر لم تزد على ثلاث سنوات[٢]، ولمعرفة ذلك يجب أن نبحث عن المدة التي انقضت بين زيارة المجوس وموت هيرودس، وما نستدل عليه كتابياً من أن المجيء إلى مصر كان عقب زيارة المجوس.

---

(١) الأهرام، ٦ يونيو ١٩٩٨ (خبر نشر بالصفحة الأولى تحت عنوان: بردية قبطية: المسيح عاش في مصر أربع سنوات).

(٢) الأب يعقوب موزر، دخول السيد إلى مصر، الصلاح، مارس ١٩٣٣، ص ٢٢٣ .


البحر الابيض المتوسط
وادي النطرون
تل بسطا
فرما
من العريش
بلبيس
مطرية
حارة زويلة
بابل
معادي
الصحراء الغربية
الصحراء الشرقية
بهنسا
بني مزار
سمالوط
جبل الطير
الأشمونين
دير المحرق
الى اسيوط
الخارطة التي وزعتها وزارة
السياحة المصرية لطريق العائلة
المقدسة في صعيد مصر.

رابعاً

محطات الرحلة بحسب المصادر المعروفة

١- الفرما

ورد ذكر هذه المدينة في الكتاب المقدس في سفر حزقيال ٣٠: ١٥ و١٦ باسم سين ومعناها حصن مصر، وسميت في العصر الروماني باسم بيلوزيوم"Pelusiom" وهذه التسمية مشتقة من Pelau وتعني الطين، ولازال موجوداً بالقرب منها **سهل الطينة**، وبالقرب منها كان يمر فرع النيل البيلوزي (أو البوباستي) والذي كانت تمتد إلى شاطئه منشآت بوباستيس القديمة (تل بسطا حالياً) والتي يعتقد أنها أول بلدة حلت بها العائلة المقدسة بعد الفرما، وقد كشفت هيئة الآثار المصرية عام ١٩٩٨ عن بقايا ميناء نهري يرجع لعصر بطليموس الأول (٣٢٨٠ ق.م) ومن هذه البقايا رصيف طوله حوالي الكيلومتر وعثر أسفل أساساته على عدد من الهياكل العظمية لتماسيح وأختام وأواني فخارية من فينيقيا وكريت وقبرص، وهذا الكشف يبين أن هذه المنطقة كانت المدخل الشرقي الرئيسي لمصر، ومن ثم دخلت العائلة المقدسة إلى مصر عبر هذه المنطقة، كما أنها كانت مركزاً للتجارة بين مواني البحر المتوسط ودول الشرق القديم[١].

في العصر القبطي سميت برما أو برمون، وموقعها الآن هو تل الفرما، ويقع بين العريش وبورسعيد.

وقد ذكر الراهب أبيفانيوس (القرن التاسع عشر) أن العائلة المقدسة توقفت خارج هذه البلدة. كما ذكر الراهب برنار (٨٧٠م) أنه كانت في الفرما كنيسة

---

(١) الأهرام، ٤ / ٧ / ١٩٩٨ و ١٣ / ٧ / ١٩٩٨ و٦ / ٢ / ١٩٩٩ (أخبار عن حفائر وترميمات في سيناء كتبها السيد النجار وأحمد الطبراني)، والأهرام ويكلي ٧- ١٣ يناير ١٩٩٩ في تحقيق بعنوان An escape into Egypt.

باسم السيدة مريم العذراء، أقيمت تيمناً بمرور العائلة المقدسة في هذا المكان، وكانت هذه الكنيسة قائمة أيام المؤرخ العربي تقي الدين المقريزي (١٤٤١م) وتهدمت في عهد الفرس ثم أثناء الحروب الصليبية حيث دمر بلدوين الأول هذه المنطقة حوالي سنة ١١١٧م.

وكانت هذه المنطقة مقراً لأسقفية قبطية، من أساقفتها الأنبا يوساب الذي حضر مجمع أفسس (٤٣١م).

وحالياً تقوم هيئة الآثار المصرية بترميم كنيسة **القديس أبياماخس القبرصي،** في الفرما، والتي ترجع للقرن الرابع الميلادي وتقع على بعد ٢٥ كيلومتراً شرق قناة السويس، وقد كشفت عنها الحفائر الأثرية عام ١٩٩٦ . ويبلغ عرض الكنيسة ٤٢ متراً وهي من أكبر الكنائس المشيدة على الطراز البازيليكي في مصر (٣٥٠٠ متر مربع) ، وتتكون هذه الكنيسة من جناحين: الغربي وهو مخصص للصلاة والشرقي لإقامة الاحتفالات الدينية و توجد حولها بقايا لخمس كنائس شيدت في الفترة بين القرنين الرابع والسادس الميلادي، وقد عثر في هذه المناطق على ١١ تابوتاً بها أجساد قديسين، وخزاناً للمياه وغرفاً لخدمة الكنيسة[١].

والجدير بالذكر أن الأثري **محمد عبد السميع عبد الدايم** توصل إلى معرفة اسم القديس الذي نسبت إليه هذه الكنيسة إبان إعداده لرسالة الدكتوراه في جامعة السوربون بباريس وذلك من خلال دراسة لثلاث مخطوطات باللغات القبطية واللاتينية والعربية.

---

(١) سحر زهران، **المصريون احتضنوا العائلة المقدسة ٤ سنوات**، الأهرام، ٢٢ / ١ / ٢٠٠٠ .

وإذا كانت العائلة المقدسة قد سلكت الطريق الأول المعروف بطريق أرض فلسطين، والذي سارت فيه الرحالة الراهبة إيثريا (حوالي سنة ٤٠٠م) فقد تكون مرت بعد الفرما بمدينة آرابيا (فاقوس حالياً بمحافظة الشرقية)[١]، وهي كانت مقراً لأسقفية قبطية، ومن أبنائها قديس يدعى أنبا جامول، أشار إليه أميلينو في كتابه: "جغرافية مصر في العصر القبطي" (ص ٤٨٣)[٢].

ومن أهم معالم الفرما، قلعتها الرومانية وتحوي ٣٦ برجاً، والتي ترجع للقرن الثالث الميلادي.

---

(١) جيرار فيور (الأب)، **تاريخ فاقوس وأرض جاسان**، فاقوس، ١٩٧٤ ص ١٨ .

(٢) دكتور ميخائيل مكسي اسكندر، مرجع سابق ص ١٩ .

٢- تل بسطا

ورد ذكر هذه المدينة في الكتاب المقدس باسم فيبستة (حزقيال ٣٠: ١٧)، وهذا الاسم قريب من اسمها في العصر الفرعوني (بر-باستت) أي بيت الآلهة باستت (الآلهة القطة)[١] والتي كان يقام لها احتفال سنوي ضخم، وصفه هيرودوت (الذي زار هذه المنطقة حوالي عام ٤٥٠ ق.م) في تاريخه (المجلد ٢ص ٥٩)، فقال إنه كان يشهده قرابة سبعمائة ألف نسمة، كانوا يركبون القوارب في فرع النيل القديم (غالباً يقصد الفرع البيلوزي أو البوباستي)، الذي كان يمر قريباً من تلك المنطقة، وهم يرقصون مع العزف على الناي. وقال أيضاً إن الآلهة باستت تماثل الآلهة ديانا عند الإغريق.

وقد تغير اسمها في العصر اليوناني إلى بوباستيس، وفي العصر القبطي سميت Qax-Baco وموقعها حالياً تل بسطا بجوار الزقازيق.

وكانت تل بسطا عاصمة لمصر في عهد الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين (في الفترة من ٩٤٥- ٧٣٠ ق.م)، وأول من اتخذها عاصمة لملكه هو الملك شيشنق[٢] أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين وقد ورد ذكره في الكتاب المقدس (ملوك الأول ١٤: ٢٥ و٢٦، وأخبار الأيام الثاني ١٢: ٢-٩)، كما كانت عاصمة للمقاطعة ١٨ (في الفترة من ٧١٢-٣٣٢ق.م). وبحسب التقليد الكنسي الشائع والذي رجع إليه بعض العلماء أمثال الباحث الألماني أوتو مايناردوس يقال

(١) تم الكشف عن مقبرة للقطط في تل بسطا وتبين من فحص المومياوات أنها من الأنواع الأليفة.

(٢) عثر الأثري الفرنسي بيير مونتييه على مقبرة هذا الملك في صان الحجر، ووجدت المومياء سليمة داخل تابوت من الفضة.

أن السيد المسيح أراد أن يشرب، ولم يكن بقرب إقامة العائلة المقدسة مصدر للمياه، وذهبت السيدة العذراء تطرق المنزل تلو الآخر طلباً للمياه، ولكن أحداً لم يعطها، فأنبع السيد المسيح له المجدعين ماء في هذه المنطقة[1].

أما معبد الإلهة باستت في تل بسطا فقد وصفه هيرودوت في كتابه "التاريخ" (الترجمة الفرنسية، ج٢ فصل ١٣٨) بأنه كان على شكل شبه جزيرة، يدخل إليه الناس من جانب واحد، وتحيط به ترعتان متفرعتان من النيل (الفرع البوباستي) ثم تفترقان لتحيطا به ويبلغ عرض كل منهما ١٠٠ قدم وتظللهما الأشجار، وكان موقع المعبد في مركز المدينة، فيراه الناس من كل مكان فيها، والذي كشف عنه الأثري السويسري إدوارد نافيل في حفائره التي قام بها في الفترة من ١٨٨٧ وحتى ١٨٨٩ وتبين له أن هذا المعبد يرجع لعصر بناة الأهرام ويتكون من ٤ قاعات كبرى، وقد أجريت فيه حفائر أخرى فيما بعد قام بها عدد من الأثريين، منهم لبيب حبشي، شفيق فريد، أحمد الصاوي، محمد بكر ومحمد عمر وغيرهم، وقد كشفت حفائر المعهد الألماني للآثار بالقاهرة بالتعاون مع جامعة الزقازيق (١٩٩٢-١٩٩٧)، عن بئر للمياه بعمق ٤ أمتار، يرجع للعصر الروماني، رجح أن يكون هو البئر الذي أنبعه السيد المسيح [2]. وقد عثر في هذا البئر على أوان فخارية وقطع من الخشب وعظام حيوانات وغيرها، بفحصها بالكربون (١٤) المشع تبين أنها ترجع لفترة بين العامين الرابع والثامن للميلاد.

وقد تم عمل ممر من الكتل الحجرية وسور لتأمين الزوار حول البئر، وتنقية

---

(١) أشارت لذلك بعض المخطوطات، منها المخطوطة ٢٤ تاريخ، بمكتبة الدار البطريركية.

(٢) جريدة الجمهورية، ٢٥ أغسطس ١٩٩٢ وجريدة الأهرام، أول أكتوبر ١٩٩٧ .

ومعالجة مياهه.

ويشير التقليد الذي اعتمد على المخطوطة المسماة برؤيا البطريرك ثاؤفيلس أن العائلة المقدسة قابلت في تل بسطا لصين أحدهما يدعى تيطس والآخر يدعى دامكوس، وقال أحدهما للآخر إنني كنت أود سرقة الثياب التي ترتديها هذه المرأة وأيضاً طفلها، ولو كنت قابلتهما في مكان آخر لكنت فعلت ذلك، فرد عليه الآخر قائلاً دعنا نواصل طريقنا. إنني لم أر طفلاً في حياتي مثل هذه الطفل، ومع هذا فقد انتهزا فرصة بحث السيدة العذراء وهي تحمل الطفل يسوع للبحث عن ماء ليشرب ويوسف النجار نائماً فسرقا (الصندل الفضي) للطفل يسوع(١).

وهناك تقليد منسوب للأنبا زخارياس أسقف سخا (٦٩٥م) يقول إن العائلة المقدسة أقامت في منزل شخص يدعى كلوم أو قلوم (معنى هذا الاسم القلادة) وزوجته كان اسمها سارة، وحينما طرقت السيدة العذرآء باب المنزل قال لهم إن زوجته مريضة، وقد أجرى لها السيد المسيح وهو طفل معجزة شفاء، وقد قاد كلوم العائلة المقدسة حتى مسطرد الحالية. ويرجح البعض أن تكون كنيسة مارجرجس وكنيسة السيدة العذراء وماريوحنا (اليونانية سابقاً) بالزقازيق مشيدة في المكان الذي كان يقع فيه هذا المنزل(٢).

وكانت تل بسطا مقراً لأسقفية قبطية ومن أساقفتها الأنبا جبرائيل الذي حضر مجمعاً كنسياً في دير أنبا مقار عام ١٠٧٨م انتخب فيه البطريرك كيرلس

---

(1) Meinardus otto, **In The Steps of the Holy Family from Bethlehem to Upper Egypt,** Cairo Dar Ak Marref, 1963 p.27.

(٢) مطرانية الزقازيق ومنيا القمح، **عذراء الزقازيق، لم ينته بعد عصر المعجزات**، الزقازيق ١٩٩٨، ص ٣٩ .

الثاني (١٠٧٨-١٠٩٢) والأنبا ميخائيل الذي عاصر البطريرك، مرقس الثالث (١١٦٦- ١١٨٩).

وفي عصر الملك دقلديانوس (حكم في الفترة من ٢٨٤- ٣٠٣م) الذي اضطهد الأقباط وأطلق على عصره عصر الشهداء، واعتبرت السنة الأولى لحكمه (٢٨٤م) هي سنة البداية للتقويم القبطي كانت تل بسطا أحد مراكز التعذيب وفيها استشهد القديس آبالي ابن يسطس، وكذا القديس خنوب الذي عثر العالم الفرنسي مونبيه على قصة استشهاده عام ١٩١٦ . ومن أبنائها الشهيد شنوتي، الذي استشهد في أنطونيوبوليس[١].

وقد تحدث المؤرخ يوحنا النقيوسي (القرن السابع) عن ثورة أهالي هذه المنطقة ضد الامبراطور البيزنطي فوكا. وذكر راندل ستيوارت إنه كان في تل بسطا كنيسة على اسم السيدة العذراء شيدت حوالي سنة ١١٨٥[٢].

وكان يقع على بعد حوالي كيلومترين من تل بسطا ديراً يسمى دير الغار، ظل عامراً بالرهبان حتى القرن السابع الميلادي، ويقال إنه ترهب فيه البابا يسطس البطريرك السادس في تعداد بطاركة الكرازة المرقسية كما اختير أحد رهبانه، وكان ملقباً بالحبيس بسبب إقامته الطويلة داخل هذا الدير ليكون البطريرك الثلاثين وصار اسمه البابا يوحنا الثاني وذلك في عهد أنسطاس قيصر (٥٠٧- ٥١٦م)[٣].

---

(1) The Coptic Encyclopedia, P. 390 .

(٢) المرجع السابق.
(٣) وطني، ١٢ / ١٢ / ١٩٩٩ .

٣- بلبيس

يذكر العالم الأثري لبيب حبشي (١٩٦٣) أن بلبيس (على بعد حوالي ٣٠ كيلومتراً من الزقازيق) كانت ثاني مدينة في مصر في الأهمية بعد تل بسطا[(١)]، وكان اسمها بر-بس، أي بيت الإله بس. وقال اميلينو في كتابه "جغرافية مصر في العصر القبطي" أنها ذكرت في بعض المخطوطات القبطية باسم phelbes و bocos و pharvait ، ويرجح أن العائلة المقدسة توجهت إليها مباشرة من تل بسطا، ولكن مخطوطة رؤيا الأنبا ثاؤفيلس وأيضاً الأنبا زخارياس أسقف سخا يتفقان في أن العائلة المقدسة جاءت إلى بلبيس قادمة من مسطرد، التي اتجهت إليها بعد تل بسطا، وبحسب التقليد المتداول فقد أقامت هناك في ظل شجرة، يقال إنها كانت قائمة حتى نهاية القرن الثامن عشر، حيث أشار إلى وجودها العالم Bassi في كتاب يروي رحلته للأراضي المقدسة نشر عام ١٨٥٤ (الجزء الثاني، ص ٢١٣) فقال إن جنود نابليون عام ١٧٩٨ رغبوا في اقتطاع فروعاً منها لكي يطهوا طعامهم عليها، ولكنهم لم يستطيعوا، ويقال إن موقع الشجرة هو الذي يقع فيه حالياً مسجد عثمان ابن الحارس الأنصاري عند ملتقى شارعي البغدادي والأنصاري ببلبيس.

أيضاً يروي التقليد أن السيد المسيح أجرى في هذا المكان أول معجزة لإقامة ميت ابن أرملة (كما فعل الرب مع ابن أرملة نايين- لوقا ٧: ١١-١٦)[(٢)].

---

(1) Habashi L., **Tell Basta**, Cairo, 1963

(٢) الأنبا اغريغوريوس، *الدير المحرق*، **مرجع سابق**، ص ٥٦، راجع أيضاً:
Meinardus otto, **In The Steps of the Holy Family from Bethlehem to upper Egypt**, Cairo, Dar Al Marref, 1963, p.27.

وإبان فتح عمرو بن العاص لمصر، نزل جنوده فيها، حيث كانت أرمانوسة بنت المقوقس الحاكم البيزنطي لمصر، في طريقها للذهاب إلى زوجها قسطنطين بن هرقل، وجرت معركة في بلبيس بين العرب والروم، قتل فيها نحو ألف من الروم وأسر نحو ثلاثة آلاف، ولكن عمرو بعث بابنة المقوقس إلى أبيها معززة مكرمة[١].

وقد كانت بلبيس مقراً لأسقفية قبطية من أوائل أساقفتها أسقف يدعى إبراهام، وأسقف آخر بنفس الاسم حضر مجمعاً في القاهرة عام ٧٤٣ لانتخاب البطريرك خائيل(٧٤٣-٧٦٧م). وفي القرن الرابع عشر كانت من الأسقفيات البارزة. وفيها استشهد القديس يوحنا الأوسيمي، بحسب ما ذكر أميلينو. وتوجد في بلبيس حالياً كنيسة واحدة على اسم القديس مارجرجس، شيدت عام ١٩٢١[٢].

---

(١) خطط المقريزي، طبعة دار التحرير، الجزء التاسع، ص ٣٤٣ .

(2) Viaud, G., **le Sainte Famille en Egypte**

٤- المحمة (مسطرد)

يرى البعض أن العائلة المقدسة اتجهت من تل بسطا إلى مسطرد الحالية قبل أن تذهب إلى بلبيس، لكنني أعتقد أن العكس صحيح (بحسب جغرافيا المكان حالياً)، إذ أن بلبيس تقع في الطريق بين تل بسطا ومسطرد، وأياً كان الأمر فالتقليد يذكر أن العائلة المقدسة ذهبت إلى هذه البلدة وكان اسمها القديم (تيموتي سورات) وأقامت في مغارة أسفل معبد فرعوني شيده رمسيس الثاني، ويذكر التقليد أن الطفل يسوع أنبع نبع ماء، شرب منه، كما واغتسل فيه بيد السيدة العذراء، لذا أطلق على هذا المكان في اللغة القبطية (Mxwkeu Epjokem Pimanpokem Miuan xwkell). أما المحمة فهي تسمية عربية مشتقة من الفعل "حَمَّ" بفتح الحاء والميم وتشديد الميم، ويقال حَمَّ الماء أي سخنه، ومنه استحم أي اغتسل بالماء وموقع هذه البلدة هو مسطرد الحالية.

وقد شيدت كنيسة في هذا المكان على الطراز البيزنطي ذي القباب على اسم السيدة العذراء عام ١١٨٥م (٩٠١ للشهداء). ولا زال موجوداً بها بئر الماء الذي يعتقد أنه نفس البئر الذي أنبعه السيد المسيح[١]. وتوجد بها أيقونة نادرة من رق الغزال، عليها رسم للسيدة العذراء تمتطي دابة، وتحمل الطفل يسوع، وخلفهما يوسف النجار وسالومي.

وبحسب التقليد فإن العائلة المقدسة مرت على هذه البلدة في كل من رحلتي الذهاب والعودة.

---

(١) الأنبا اغريغوريوس، **الدير المحرق، مرجع سابق**، ص ٥٢ و٥٣ - انظر أيضاً مقال نيافته: **المسيح في مسطرد** ، وطني ١٥ / ٦ / ١٩٨٠ .

٥- دقـادوس[١]

يعـتـقـد البـعض أن العـائلة المقدسـة مـرت بقـرية دقـادوس (مـركـز ميت غـمـر بالدقـهلية حـالياً). وفـي هذا الصـدد يحتمل البـاحث الفـرنسـي الأب جيراڤيو حـدوث ذلك استناداً لكتاب القمص منسى يوحنا في تاريخ الكنيسـة القبطية. ويـعتقد أن اسم دقـادوس مشتق من التـعبير اليوناني Ath okotos وهـو اسـم مـشـتق من كلمـة ثيؤتوكس اليـونانيـة أي والدة الإله، وهـي تُقرأ في اللغـة القبطيـة "تي ثيئـوتوكـوس أثوكوطوس" أي والدة الإله بدقادوس وقـد وجـد الأب جيرار فيـو اسـمـهـا في بعض المخطوطات مثل المخطوط القبطي رقم ٥٣ (ص ١٧٤) في المكتبة الأهلية بباريس والمخطوط Lord Craw Ford (ص ٣٢٤) في مكتبة لندن.

وتوجد في دقادوس حـالياً كنيسة أثرية على اسم السيدة العذراء، كانت مقراً لمطارنة القدس والقنال والشرقية والدقهلية حتى وقت قريب.. والمبنى الحالي لهذه الكنيسة شيد عام ١٨٨٨ على أطلال ثلاث كنائس قديمة، يعتقد أن إحداها شيدتها الملكة هيلانة في القـرن الرابع الميـلادي، حينمـا جـاءت إلى مـصـر لزيارة الأمـاكن التي يعتقد أن العائلة المقدسة مرت بها وقيامـها ببناء كنائس في هذه الأماكن، ويذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أنه كانت هناك كنيسة في دقادوس باسم السـيـدة العـذراء ترجع لعـام ١٢٣٩ (القـرن الثـالث عشـر)، وقـد اندثرت الكنائس القـديمة بفـعل فـيضـان النيل، حـيث أن هذه البلدة تقع على فـرع دمـياط، وتوجـد

---

(١) مقـال لسمير نعوم في الأهرام ويكلي بعنوان **The flight through daqadous**-: راجع أيضـاً:
جيرار فيو، **دقادوس**، والدة الإله القديسة العذراء مريم ١٩٦٥ .
جرجس حلمي عازر، **كنائس فيها أسرار**، القاهرة، مكتبة المحبة، ١٩٩٣ .

بعض القطع الأثرية والإيقونات والمخطوطات[1] في الكنيسة الحالية وهي ترجع الكنائس القديمة التي كانت في هذا المكان، ومنها أيقونة للسيدة العذراء يقول التقليد المحلي للبلدة عنها إن الذي رسمها هو القديس لوقا، ومخطوطة تتضمن شرحاً لبعض رسائل القديس بولس ترجع لعام ١٣٢٢م.

ومن أبناء هذه الكنيسة البابا ميخائيل الثاني المعروف باسم "ابن الدقادوس" البطريرك الـ ٧١ والذي سيم عام ١١٤٥م والذي جلس على الكرسي البطريركي فترة قصيرة بلغت تسعة أشهر وستة عشر يوماً.

---

(١) تم تصوير بعضها بالميكروفيلم.

٦- سمنود

وفقاً لكل من السنكسار القبطي والسنكسار الأثيوبي، فإن العائلة المقدسة اتجهت من الشرقية (حيث تل بسطا وبلبيس) إلى بلدة منية جناح (منية سمنود حالياً).

وغالباً عبروا بعد ذلك فرع النيل السبنيتي إلى سمنود الحالية، وكان اسمها المصري القديم ثب نتر أي هيكل الله. وفي العصر اليوناني سميت سبينتوتي Cebeoinetou. وفيها نشأ مانيتون رئيس الكهنة والمؤرخ في عهد بطليموس الثاني. وسميت في العصر القبطي جمنوتي Gemnouti.

وتذكر سيرة القديس أبادير وأخته إيرائي أن الحاكم الروماني لأنتينوي (أنصنا - ملوي) عرض على أبادير أن يعينه والياً على سمنود، إذا بخر للأوثان، وهذا ما رفضه هذاالقديس.

ووصفها دي بوا- إيميه أحد علماء الحملة الفرنسية بأنها أهم المدن التي يمر بها المرء منذ أن يسير مع مجرى النيل من القاهرة حتى دمياط[١].

يذكر الباحث الألماني أوتو ماينادروس أن التقليد المتداول في سمنود يشير إلى أن كنيسة القديس أبانوب الحالية شيدت حوالي سنة ١٨٨٠م على بقايا كنيسة قديمة على اسم السيدة العذراء، وأن الكنيسة القديمة كانت قد شيدت في المكان الذي يعتقد أن العائلة المقدسة أقامت فيه، لمدة تتراوح بين ١٤ و١٧ يوماً، وأنه كان هناك بئراً للمياه في الجزء الشرقي من الكنيسة يعود لوقت مجيء العائلة المقدسة

---

(١) علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٨٥ .

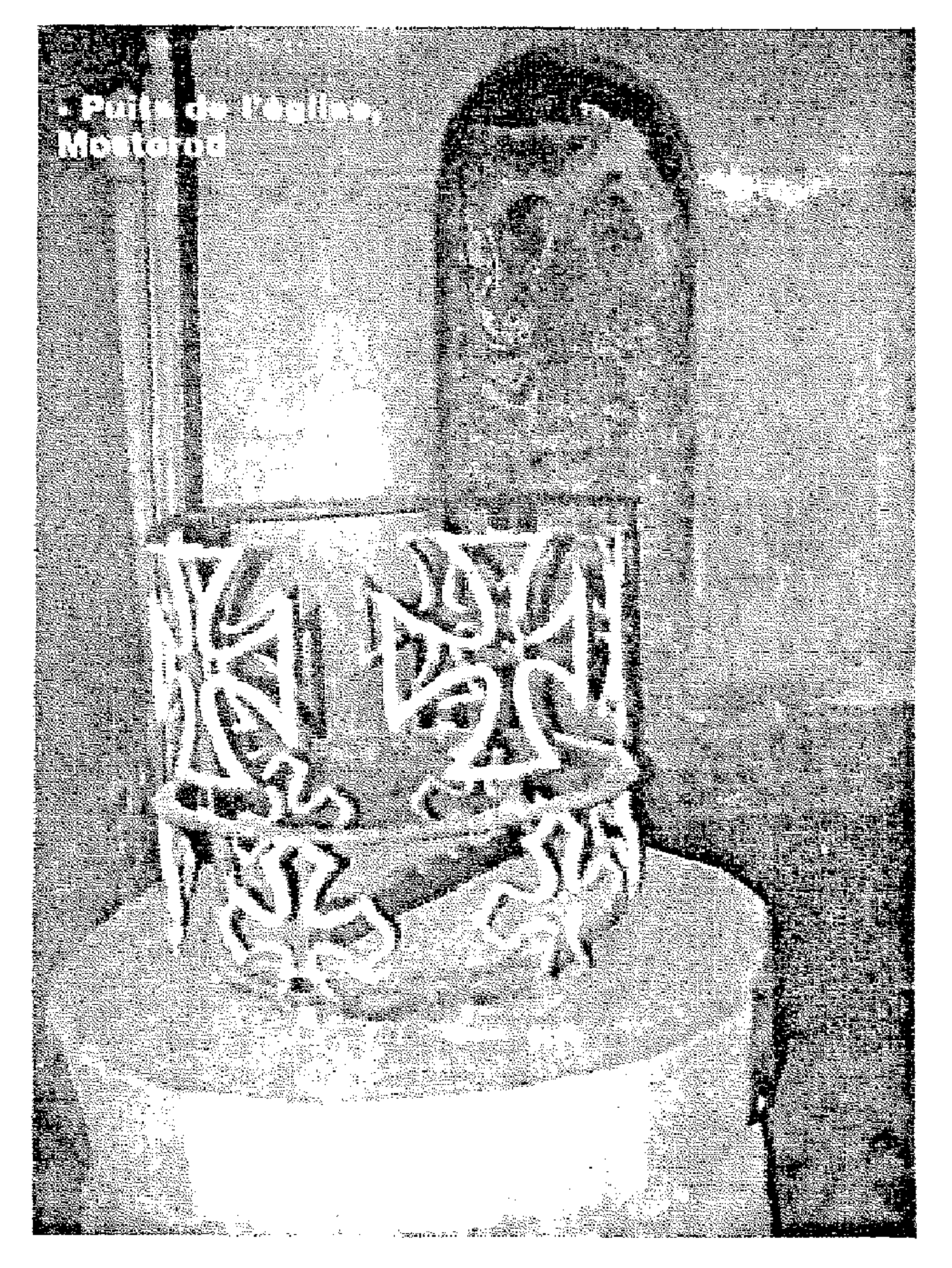
إلى مصر، وبالتالي يكون السيد المسيح قد شرب منه. كما يذكر التقليد المحلي أنه يوجد بالكنيسة ماجور جرانيتي خاص بسيدة من أهل سمنود شاركتها السيدة العذراء في عجن الدقيق وعمل خبز منه[1].

الجدير بالذكر أن سمنود كانت مقراً لأسقفية قبطية، تحمل اسم أسقفية شنشا وسندوب وطندتا وسمنود، ومن أساقفتها الأنبا أكسونيوس الذي شارك مع البابا ديسقورس في مجمع أفسس الثاني (٤٤٩م) ومجمع خلقيدونية (٤٥١م) والأنبا مقار، الذي سيم في عهد البابا يوحنا الخامس (١١٤٧ -١١٦٦) والأنبا يؤانس الذي سامه البطريرك كيرلس الثالث وهو كان من علماء عصره، والأنبا بطرس الذي عاصر البطريركين ثيودوسيوس الثاني ويوحنا الثامن، والأنبا يؤانس الذي عاصر أيضاً البابا يؤانس الثامن والأنبا اخرستوس ذولو الذي عاصر البابا بطرس الخامس والأنبا ميخائيل الغمري الذي عاصر البابا غبريال الخامس واشترك معه في رسامة بطريرك السريان الأرثوذكس أغناطيوس بهنام الأول سنة ١٤١٢ في كنيسة أبو سيفين بمصر القديمة[2]. ومن أبناء هذه البلدة البطاركة يوحنا الثالث (البطريرك ٤٠) ومينا الأول (البطريرك ٤٧) وقسما الثاني (البطريرك ٥٤).

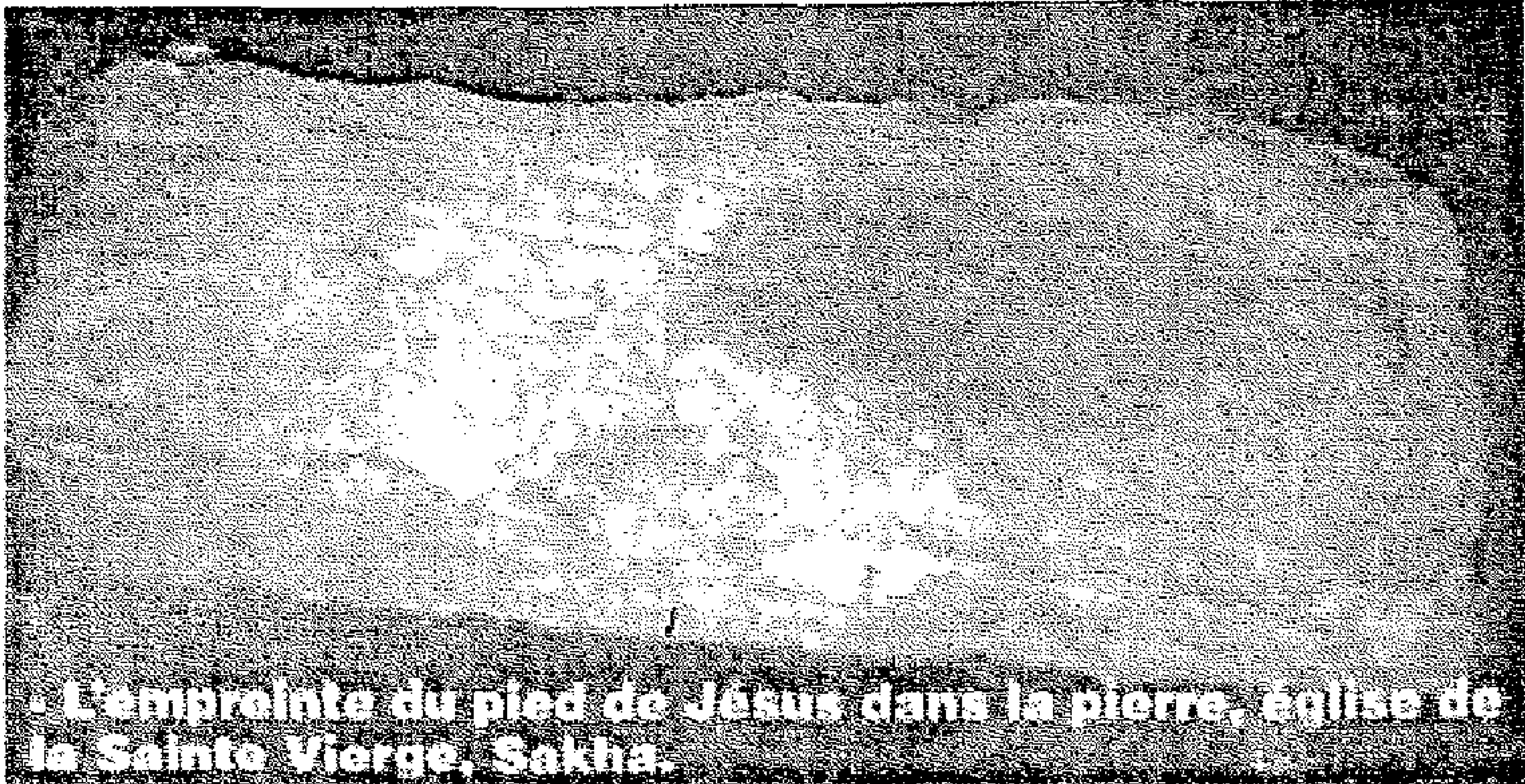
---

(١) الأهرام ويكلي، **مرجع سابق**- انظر أيضاً:
Meimardus otto, **In The Steps of the Holy Family from Bethlehem to upper Egypt,** Cairo Dar Al Marref, 1963, p29.

(٢) عن دراسة للقمص صموئيل تاوضروس السرياني حول: **كرسي المنصورة**، مجلة مدارس الأحد.



- Puits de l'église, Mostorod



- L'empreinte du pied de Jésus dans la pierre, église de la Sainte Vierge, Sakha.



- Icône se trouvant dans L'église de la vierge Marie, Belbis

٧- سخا وما حولها

ذكر الأنبا زخارياس[1] أسقف سخا (في القرن السابع الميلادي) أن العائلة المقدسة اتجهت من سمنود إلي منطقة البرلس (بارليا في اللغة اليونانية) والتي كانت مقراً لأسقفية قبطية، ضمت مناطق البراري والبرلس ومن أساقفتها الأنبا أثناسيوس الذي شارك في أعمال مجمع أفسس عام ٤٣١م وأسقف آخر اسمه الأنبا يوحنا بن الكاتب (القرن السابع الميلادي). ويذكر الباحث الألماني أوتو مايناردوس أن منطقة البرلس هي المنطقة التي يقع فيها حالياً دير القديسة دميانة (ابنة مرقس والي البرلس) ببراري بلقاس حالياً والذي شيدته الملكة هيلانة حوالي عام ٣٣٠[2].

ومن البرلس اتجهت العائلة المقدسة إلى قرية شجرة التين، وكان أغلب سكانها من اليهود وقد رفضوا استضافة العائلة المقدسة في قريتهم، فذهبت العائلة المقدسة إلى قرية المطلع، والتي رحب سكانها بالعائلة المقدسة.

في سخا:

اتجهت العائلة المقدسة إلى سخا، والتي كان اسمها في العصر الفرعوني خاست، وقال أميلينو في جغرافيته أنها سميت أيضاً باسم سيخو وكانت عاصمة للأسرة الرابعة عشرة، وفي العصر اليوناني سميت أكسويس، كما قيل إنها عرفت فيما بعد باسم بيخا إيسوس أي كعب يسوع، حيث يذكر التقليد المحلي أن السيد

---

(١) عاصر البابا إسحق البطريرك ٤١ في تعداد بطاركة الإسكندرية والذي جلس على الكرسي البطريركي في الفترة من ٦٨٦ - ٦٨٩، وكان الأنبا زخارياس ابناً لكاهن، ثم ترهب وسيم أسقفاً على سخا لمدة ٣٠ عاماً وله عدة مؤلفات، وقد وصف في تاريخ البطاركة بأنه حسن الأعمال.

(٢) يتبع هذا الدير والذي أصبح من أكبر أديرة الراهبات في مصر حالياً مطرانية دمياط وكفر الشيخ ودير القديسة دميانة، وكان من قبل تابعاً لمطرانية الدقهلية.

المسيح وضع قدمه على حجر، قيل إنه كان قاعدة عمود، فغاصت في الحجر مشطا قدمي يسوع، فأطلق على هذا المكان بخا إيسوس أي كعب يسوع. وقد اختفى هذا الحجر بعد القرن السابع، وتم العثور عليه أثناء حفر أساسات منزل مجاور لكنيسة السيدة العذراء في سخا يوم ٢٧ / ٩ / ١٩٨٤ وأبعاده ١٠٠ × ٣٠ × ٣٠سم، ومكتوب على ناحية منه (الله الابن) وعلى ناحية أخرى أثر لقدم طفل صغير لونها غامق ومميز عن باقي لون الحجر، وقد وجد في مكان القدم بالحجر آثار زيت مما يدل على أن الأقباط في القرون السبعة الأولى، كانوا يضعون زيتاً في الحجر، للتبرك به[١]. وإلى جوار كنيسة السيدة العذرآء، يوجد مغطس يعود للعصر الروماني وكان يوجد حولهما دير كان عامراً بالرهبان حتى عام ١١٩٤م، كان يسمى بدير المغطس[٢]. وتبعد هذه البلدة حالياً عن مدينة كفر الشيخ بنحو ٢ كيلومتر. وقد أنجبت سخا عدداً من البابوات منهم البابا إسحق الثالث (٦٨١ – ٦٨٤) والبابا خائيل الأول (٧٢٩ – ٧٥٢) والبابا زخارياس (٩٦٦ – ١٠٢٣) والبابا شنوده الثاني (١٠٢٤– ١٠٣٨م) والبابا خرستوذولوس (١٠٣٩ – ١٠٦٩) والبابا ميخائيل الرابع (١٠٨٤– ١٠٩٣)، كما عاش فيها مختبئاً من بعض الهراطقة البطريرك السوري ساويرس الأنطاكي ومات فيها عام ٥٣٨ ودفن في دير الزجاج قرب الإسكندرية، ثم نقل رفاته إلى كنيسة السيدة العذراء في سخا.

الجدير بالذكر أن منارة كنيسة السيدة العذراء في سخا شيَّدها محمد علي باشا، كما أهدى الخديوي إسماعيل للكنيسة شمعدان من الفضة عام ١٨٦٢[٣].

---

(١) ميخائيل مكسي، المسيح في مصر، **مرجع سابق**، ص ٣٢ و٣٤ .

(٢) الأنبا صموئيل والمهندس بديع حبيب، **الكنائس والأديرة القديمة بالوجه البحري والقاهرة وسيناء**، القاهرة، معهد الدراسات القبطية، ١٩٩٥ ص ٨٨، انظر أيضاً: الأب يعقوب موزر، **تاريخ مجيد انطوي وآثار رهبنة انمحت**، رسالة مارمينا، ١٩٤٥ .

(٣) ميخائيل مكسي اسكندر، **مدينة سخا**، وطني، ٢٥ / ٤ / ١٩٩٩ .

٨- آون/ المطرية و عين شمس

يغلب الظن أن العائلة المقدسة، اتجهت من سخا صوب المنطقة التي تعرف حالياً باسم وادي النطرون، والتي توجد بها أكبر الأديرة المصرية (أديرة الأنبا بيشوي والسريان والبراموس وأبو مقار)، ومنها اتجهت إلى أون (عين شمس والمطرية وعرب الحصن حالياً).

وآون[١] هي إحدى المدن المصرية القديمة المذكورة في الكتاب المقدس، وقد ذكرت في الترجمات العربية باسم آون (حزقيال ١٧:٣٠) وفي الترجمتين السبعينية واللاتينية (الفولجاتا) باسم أون وهو اسم مصري قديم معناه البرج الذي يرصد منه الكهنة الشمس والنجوم والكواكب، وبالفعل كان كهنة هذه المدينة متخصصين في الفلك، وهم الذين قسموا السنة إلى ١٢ شهراً والشهر إلى ٣٠ يوماً وأضافوا إليها خمسة أيام هي المعروفة بأيام النسي، وهذا التقويم الذي وضعوه هو نفس التقويم القبطي الحالي. وقد وصف هيرودوت سكانها بأنهم أكثر المصريين معرفة، كما تحدث عنهم أيضاً كل من استرابون الذي زار مصر في الفترة من ٢٤-٢٠ق.م ومانيتون المؤرخ المصري.

وقد ذكرت باسم بيت شمس في (إرميا ٤٣: ١٣) ومدينة الشمس (إشعياء ١٩: ١٨)، وقد تزوج يوسف الصديق من أسنات ابنة فوطي فارع أحد كهنتها (تكوين ٤١: ٤٥ و٥٠ و٢٠:٤٦). ويرجع علماء التاريخ نشأة هذه المدينة لحوالي ٤٢٤ ق.م، وهي كانت عاصمة للإقليم الثالث عشر من أقاليم الوجه البحري.

---

(١) أديب نجيب، **أون**، دراسة نشرت بمجلة أجنحة النسور، أكتوبر ١٩٧٧، ص ٣١-٣٤ .

واسم عين شمس الحالي مكون من مقطعين هما عين وربما تكون قد اشتقت من أون وشمس وقد جاءت من عبادة الإله رع إله الشمس في تلك المنطقة.

وكانت أون مقراً لأول حكومة موحدة في التاريخ الفرعوني، سبقت حكومة الملك مينا موحد القطرين، كما اشتهرت بجامعتها القديمة، التي تعلم فيها موسى وأيضاً الكثير من الفلاسفة أمثال أفلاطون، واشتهرت أيضاً بمسلاتها، حيث كانت توجد بها أكثر من مسلة (وقد ذكرت هذه المسلات في إرميا ٤٣: ١٢) ومن هذه المسلات المسلة القائمة حالياً والتي تنسب إلى سنوسرت الأول أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، الذي حكم في الفترة من ١٩٧١ –١٩٣٦ق.م. ويبلغ ارتفاعها ٦٧ قدماً ووزنها نحو ١٢١ طناً.

وفي العصر اليوناني سميت هذه المنطقة باسم هليوبوليس أي مدينة الشمس، وكان يسكنها عدد كبير من اليهود، لذا ذكرت في الكتاب المقدس ضمن المدن التي تتحدث بلغة أهل كنعان (إشعياء ١٩: ١٨)، وكان لليهود فيها هيكلاً باسم أونياس، ويرجِّح بعض علماء التفسير أنه المقصود في (إشعياء ١٩: ١٩).

وقد تزوج يوسف الصدِّيق من أسنات ابنة فوطي فارع كاهن أون (تك ٤١: ٤٥ و٥٠ و٤٦: ٢٠). وكان عالم الآثار فلندرز بيتري قد عثر على بقايا قصر في هذه المنطقة، رجح أن يكون قصر يوسف.

ويشير التقليد إلى أن العائلة المقدسة أقامت في هذه المنطقة، حيث أنبع السيد المسيح نبع ماء، وبمائه روت السيدة العذراء شجرة للبلسم نبتت في هذا المكان، وظلت هذه الشجرة قائمة حتى عام ١٦١٥ (وفي مصدر آخر عام ١٦٥٦)، وزرعت مكانها شجرة جميز حوالي عام ١٦٧٢، وكان البطاركة الأقباط قديماً يأخذون

دهن البلسم من هذه الشجرة ويضيفون إليه زيت الزيتون الفلسطيني وغيره من المواد ويستخدمونه في عمل زيت الميرون.

الجدير بالذكر أن سلاطين المماليك اهتموا بحديقة البلسان في هذه المنطقة، وكانت تقام احتفالات في مناسبة جمع المحصول بحضور بطريرك الأقباط الأرثوذكس، وكان السلطان يهديه عادة بعضاً من زيت البلسان، كما كان بعض السلاطين يكلفون أشخاصاً باعتصار الزيت من الأشجار ونقله في الخزانة السلطانية ومنها إلى القلاع والمستشفيات، وشهد أحد الرحالة أن الزيت كان يجمع من أشجار البلسان ثلاث مرات في السنة، والقطفة الأخيرة هي الأجود وكان يرسل بعضاً منها كهدايا إلى سلاطين تركيا والهند وللوك الحبشة والروم، ويقال إن سلاطين المماليك شيدوا أسواراً حول حديقة البلسان هذه وجعلوا الدخول إليها بإذن خاص، كما أقام الأمير يشبك قصراً للسلطان قايتباي هناك، وقد اختفت تلك الحديقة عام ١٤٩٧ بعد موت الأشرف قايتباي(١).

وقد كتب الطبيب الإيطالي بروسبير والبينو الذي قضى في مصر ثلاث سنوات (١٥٨١- ١٥٨٤) في مذكراته يقول أنه توجد بجوار القاهرة منطقة تسمى المطرية، ويعتقد جميع المصريين أن العذراء مريم قضت فيها مع الطفل يسوع سبع سنوات، ويكرم المكان المسيحيون والمسلمون على السواء، ويوجد به ينبوع وحديقة مزروعة بأشجار البلسم. وقد شيدت في هذا المكان كنيسة في القرن الرابع، وأعيد بنائها عام ١١٥٤ كما ذكر أبو المكارم.

---

(١) حسام عبد ربه، **شجرة مريم.. يتبرك بها المسلمون والمسيحيون**، مقال بجريدة الأخبار، استناداً إلى الأستاذة جيلان عباس المدرسة بكلية السياحة والفنادق، وهي متخصصة في الكتابات التي تناولت رحلة العائلة المقدسة إلى مصر.

وقد شيد الآباء الفرنسيسكان كنيسة في عام ١٥٩٧ إلى جوار الشجرة المعروفة بشجرة السيدة العذراء مريم، وذلك على أنقاض كنيسة قديمة، كانت تعرف بكنيسة الذهب، ثم شيد الآباء اليسوعيين كنيسة أخرى لازالت قائمة باسم العائلة المقدسة، ترجع إلى عام ١٨٨٣ حيث اشترى الأب اليسوعي ميشيل جوليان جزءاً من حديقة البلسم وشيد عليه كنيسة صغيرة عام ١٨٨٥ . ثم شيدت كنيسة أكبر سنة ١٩٠٤، سجلت على جدرانها وقائع رحلة العائلة المقدسة إلي مصر كما روتها التقاليد، كما يوجد بها تمثال قديم للعائلة المقدسة وكانت تأتي إليها وفود سياحية من كل أنحاء العالم وصل عددها في عام ١٩١٥ لنحو ٣٥٠٠ شخص(١)، فقد كان زوار القدس يمرون بالمطرية، ثم سيناء لزيارة دير سانت كاترين، فالقدس أو العكس.

نحو بابيلون:

ومن أون اتجهت العائلة المقدسة نحو بابيلون ويعتقد أنه في الطريق بين المنطقتين لابد وأن تكون العائلة المقدسة قد مرت بمنطقة الزيتون حيث كنيسة السيدة العذراء أم النور الحالية، ومنطقة حارة زويلة بالغورية حيث توجد كنيسة باسم السيدة العذراء ترجع لأوائل القرن الرابع الميلادي وبها بئر قديمة و٦٢ أيقونة أثرية، وكانت مقراً بطريركياً لنحو ٣٥ بطريركاً عبر ستة قرون. وأيضاً مرت بمنطقة الدرب الواسع بكلوت بك حيث كنيسة العزباوية (مقر دير السريان في القاهرة)، ثم منطقة أبو الريش حيث كنيستي مارمينا ومارجرجس والشهيد بشنونة(٢).

---

(١) مدرسة العائلة المقدسة، **مائة عام في خدمة التربية في مصر ١٨٧٩– ١٩٧٩**، القاهرة، ص٨٢ .
(٢) دكتور ميخائيل مكسي اسكندر، **المسيح في مصر**، مرجع سابق، ص ٤٠– ٤٢ .
الجدير بالذكر أن الشهيد بشنونة الذي تنسب إليه الكنيسة المشار إليها أعلاه، استشهد في ١٩ مايو ١١٦٤م وعثر على رفاته أسفل الأنبل (منبر الوعظ) بكنيسة أبو سرجة بمصر القديمة أثناء أعمال الترميمات بالكنيسة وذلك يوم ٢٥ أبريل ١٩٩١ .

كشف لوحات أثرية نادرة من الفن القبطي

اللوحـات من ١٣٠٠ عام وتمثل مسيرة العائلة المقدسة في مصر

تم الكشف عن مجموعات اثرية نادرة لمسيرة العائلة المقدسة فى مصر ، فى شكل لوحات للسيدة العذراء والسيد المسيح ، يرجع تاريخها الى القرن السابع الميلادى وذلك خلال عمليات الترميم التى تقوم بها هيئة الآثار المصرية فى « الكنيسة المعلقة » فى حصن بابليون .

وصرح الدكتور أحمد قدرى رئيس الهيئة بأن مجموعة الاثار تعد من أعظم واندر لوحات الفن القبطى القديم ، والتى لا تقدر بمال ، وهى تحكى قصة مسيرة السيدة العذراء من بيت لحم وعبورها فلسطين حتى العريش ، ثم بلبيس حتى مصر القديمة (بابليون) واقامتها هناك الى أن انتقلت بوليدها المسيح والشيخ القديس يوسف النجار الى الصعيد حيث الدير المحرق .

وقال رئيس هيئة الاثار انه سيتم الاستعانة بعدد من الخبراء العالميين ليتعاونوا مع الخبراء المصريين فى ترميم هذه اللوحات .

وقال الدكتور قدرى انه يجرى حاليا ترميم الجانب الداخلى للكنيسة المعلقة ، وهو يضم كنيسة باسم « مارمرقس » اغلقت منذ ٤٠٠ عام ، وسوف تفتح للجمهور فى أول العام القادم . (تحقيق خاص للاهرام ص ٦) .

لوحة خشبية من اللوحات النادرة الثمينة التى عثر عليها ، وقد احتفظت بالوانها واضحة رغم مرور ١٣٠٠ سنة عليها .



٩- بابيلون- مصر القديمة

ذكر المؤرخ الروماني سترابون والمؤرخ القبطي يوحنا النقيوسي إن الامبراطور تراجان شيد مدينة رومانية في المنطقة الواقعة بين تلال المقطم ونهر النيل، كما شيد حصناً بها أطلق عليه اسم بابيلون. أما ديودور الصقلي فيقول إن رمسيس الثاني أسكن بعض الأسرى البابليين في قلعة على شاطيء النيل، وقد استقروا حولها، حيث شيدوا مدينة باسم بابيلون نسبة إلى بابل العراق.

وهناك رأي آخر بأن كهنة مصر القديمة كانوا ينقلون عجل أبيس من منف إلى أون، وفي الطريق كانوا يستريحون في هذه المنطقة والتي سميت بالقبطية بي أبين أون أي مكان راحة أبيس في طريقه إلى أون.

ويقال إنه كان في هذه المنطقة معبداً يهودياً شبيه بهيكل أورشليم يرجع لعام ١٦٠ ق.م، وعظ فيه إرميا النبي حينما جاء إلى مصر، وعلى أنقاضه شيدت كنيسة باسم رئيس الملائكة ميخائيل، ثم أقيم معبد بن عزرا الحالي سنة ١١٥٠م[١].

هل جاء بطرس الرسول إلى بابيلون؟ .

يذكر الأنبا إيسيذورس مؤلف كتاب: **الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة** أن بطرس الرسول جاء إلى بابل مصر حيث التقى بالقديس مرقس، استناداً إلى ما جاء في رسالة القديس بطرس الأولى من أنه كتبها وهو في بابل (١بط ٥: ١٣). أو قد يكون كتبها في واحات مصر، واستناداً لمخطوطة بعنوان سير الرسل الاثنى

---

(١) الأنبا اغريغوريوس، الدير المحرق، **مرجع سابق**، ص ٦٤ و٦٥ .

عشر تحمل رقم ٧ تاريخ/ ٥٤٧ عمومية بمكتبة البطريركية. فمنطقة الواحات بشر فيها القديس برثولماوس، والذي طلب من القديس بطرس أن يوصله إليها، فذهبا إليها معاً[١].

العائلة المقدسة وكنيسة أبي سرجة:

يعتقد أن العائلة المقدسة سكنت في المغارة القائمة حالياً أسفل كنيسة القديس سرجيوس[٢]، المعروفة باسم كنيسة أبو سرجة، وقد أطلق على هذه المغارة في بعض الأحيان اسم "بيت لحم الثاني". ومساحة هذه المغارة حوالي ٣٦ متر مربع، ويقال إن هذه الكنيسة شيدت في القرن الأول، وقد تهدمت فيما بعد، فقام بترميمها ابن السرور يوحنا بن يوسف المعروف بابن الأبح كاتم سر الخليفة المستنصر الفاطمي (عام ٧٨٩ش).

ولكن ألفريد بتلر في كتابه الشهير: **الكنائس القبطية في مصر**، يقول إن مبناها الحالي يرجع على الأقل إلي القرن الثامن الميلادي، والكنيسة مبنية على الطراز البازيليكي، من الآجر الصغير ذو اللون البني، ويوجد اثنى عشر عموداً حول صحن الكنيسة وجميعها فيما عدا عموداً واحداً مصنوعة من الرخام الأبيض، وتيجانها على النظام الكورنثي الذي كان شائعاً في الأعمال الرومانية في القرنين الثالث والرابع للميلاد، وبالكنيسة منبر خشبي من خشب الأرو المطعم

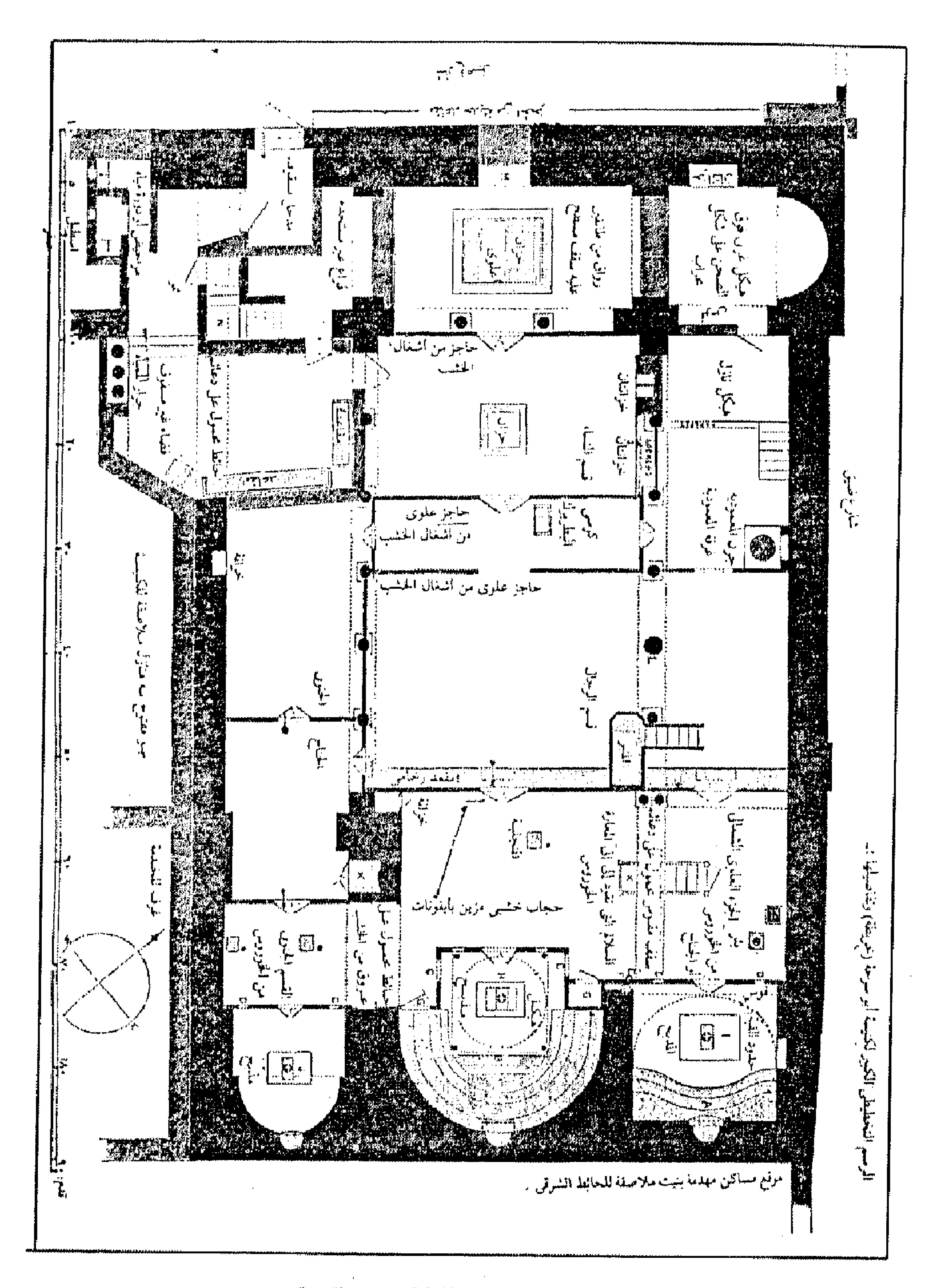
---

(١) دكتور صبحي شنوده، **مصر المباركة**، القاهرة، مكتبة المنار، ١٩٩٩، ص ٩٠ و٩١ .

(٢) كان القديس سرجيوس قائداً عسكرياً مسيحياً في البلاط الملكي للملك مكسيميانوس، تم تعذيبه بسبب مسيحيته وجرت عملية التعذيب في الرصافة، إحدى بلاد الشام، وتوجد هناك كنيسة باسمه حتى الآن، كما توجد الكنيسة القائمة بمصر القديمة حالياً، والتي يرى الفريد بتلر أن طرازها المعماري شبيه بالكنائس السورية التي شيدت في القرنين السادس والسابع.



أيقونه أثريه عن رحلة العائله المقدسه محفوظه فى كنيسة أبو سرجه

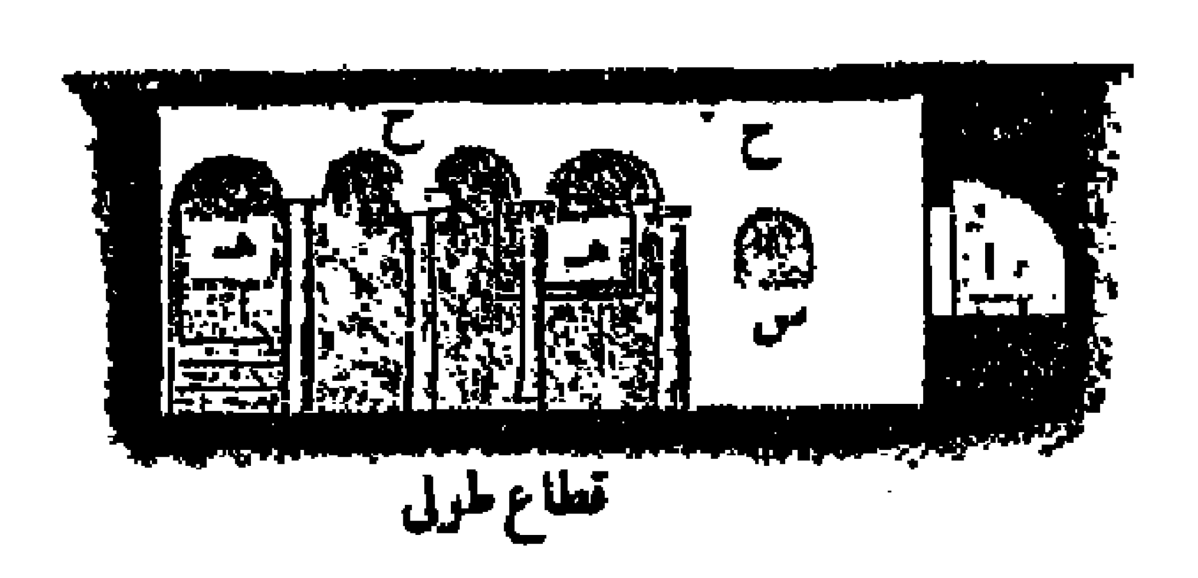


كنيسة أبي سرجة القبطية بمصر القديمة

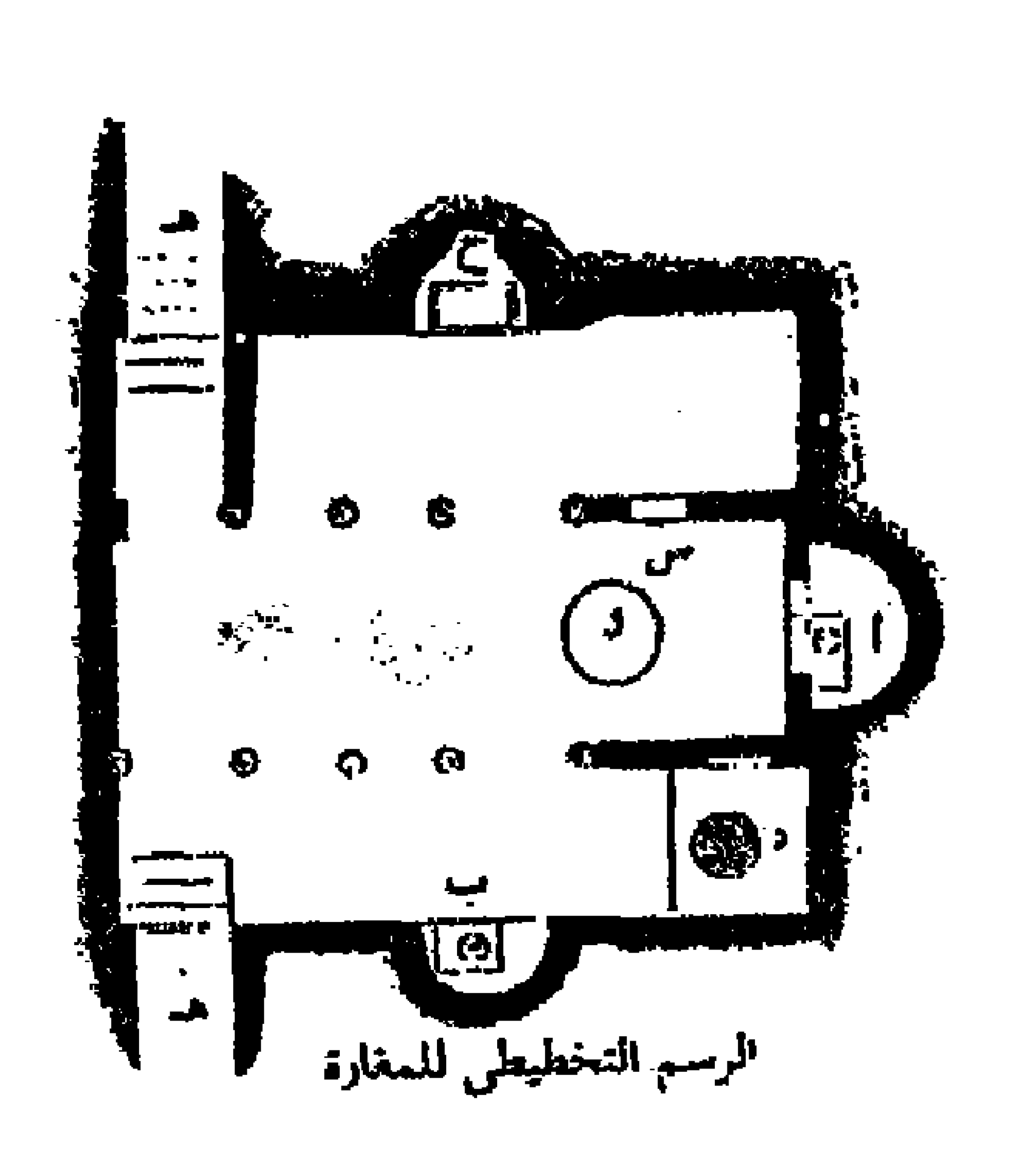
مغارة أبى سرجة

تحت الكنيسة الرئيسية المكرسة باسم

القديسة العذراء مريم

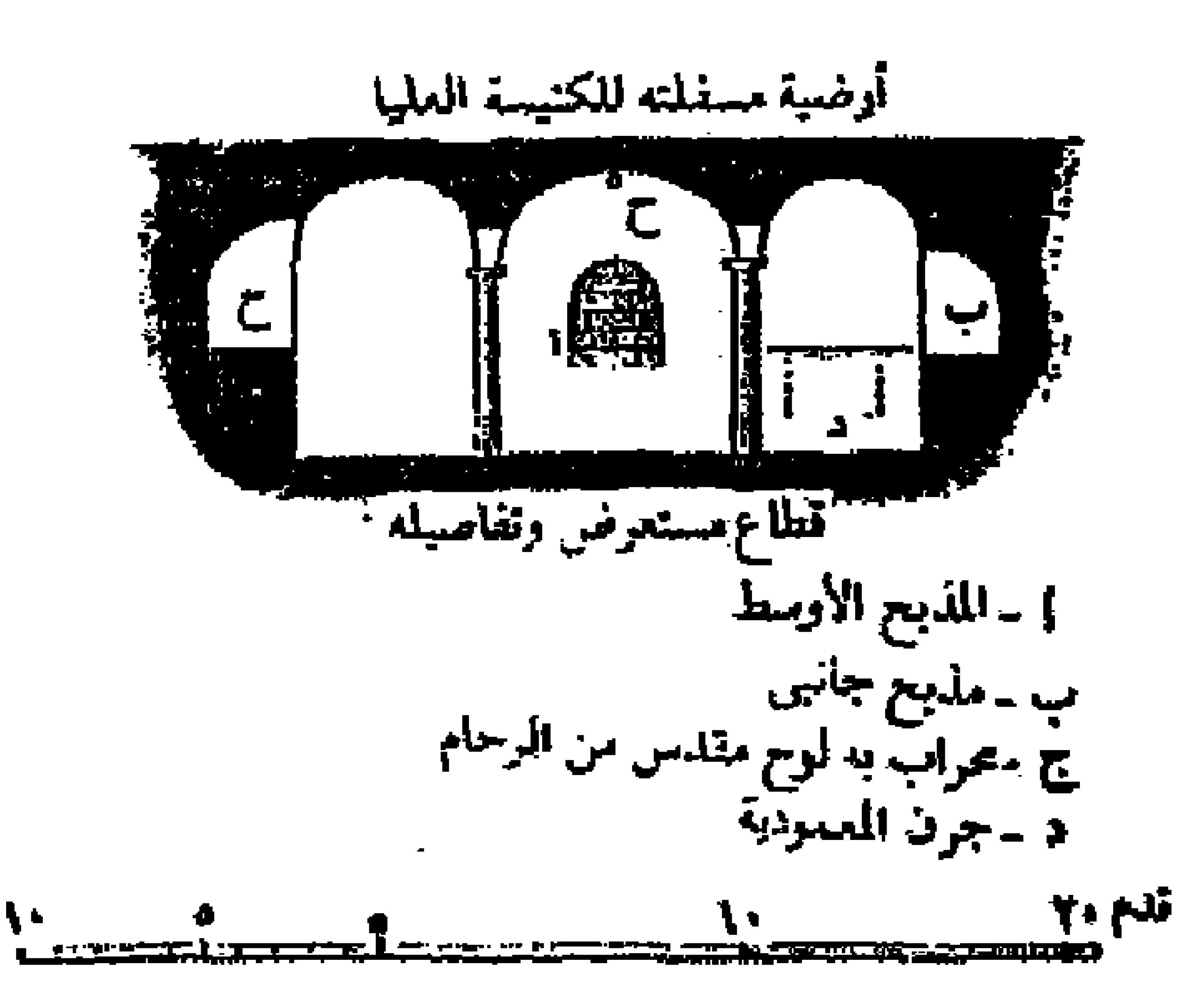


قطاع طولى



الرسم التخطيطى للمغارة

أوضية مسقلته للكنيسة العليا



قطاع مستعرض وتفاصيله

أ ـ المذبح الأوسط

ب ـ مذبح جانبى

ج ـ محراب به لوح مقدس من الرخام

د ـ جرن المعمودية

هـ ـ السلالم التى تقود إلى الكنيسة العلوية

و ـ لوح مقدس دائرى من الرخام فوق بئر العذراء

س ـ ممر بين الجناح الشمالى والصحن .

ح ـ حلقات حديدية لتعليق المصابيح .

بالأبنوس والمزود بحشوات من العاج، وتقع المغارة التي يعتقد أن العائلة المقدسة أقامت فيها أسفل صرة الخورس وجزء من الهيكل، وهذه المغارة على عمق ٧,٥ متر تحت منسوب شارع مار جرجس الذي يؤدي للكنيسة، وهي أسفل الهيكل الأوسط، ذات سقف مقبى من الطوب، مُحمَّل على صفين من الأعمدة الرخامية والحوائط الجانبية. والجدير بالذكر أن هذه الكنيسة شهدت احتفالات تنصيب بعض البطاركة في القرنين التاسع والعاشر[١].

(١) ألفريد بتلر **الكنائس القبطية القديمة في مصر**، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، الجزء الأول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، سلسلة الألف كتاب الثاني (١٣٠) ص ١٦٠- ١٨٠ .

١٠- العبور من المعادي إلى منف

يبدو أن العائلة المقدسة أقامت فترة قليلة في هذه المنطقة، يقال إنها لم تزد عن أسبوع، ثم سارت العائلة المقدسة في اتجاه المعادي الحالية، والتي ذكرها أميلينو في جغرافيته (ص ٥٧٨ و٥٨٠) باسم **تي كلابي** ويبدو أنه اسم بيزنطي، وذكرها محمد رمزي في **قاموسه الجغرافي** باسم منية السودان، كما سميت بالعدوية نسبة إلى سيدة مغربية، سكنت هذه المنطقة في القرن العاشر، وسميت في العصر العثماني باسم معادي الخبيري نسبة إلى علي الخبيري أحد أشهر أصحاب المعديات في القرن السادس عشر، ويقال إن العائلة المقدسة قصدت زيارة معبداً لليهود كان هناك[١]، وعلى أنقاضه شيدت كنيسة السيدة العذراء الحالية بالمعادي، بحسب ما ذكر أبو المكارم (١٢٠٩م).

والجدير بالذكر أن أول من ذكر هذه الكنيسة كان المؤرخ القبطي الشماس موهوب بن منصور بن مفرج الإسكندراني (١٠٨٨م) باسم كنيسة مرتوتي وهي تسمية مشتقة من الكلمة اليونانية القديمة متيرتا أي أم الله الكلمة، وكان قد تم تجديدها عام ١٠٨٥، وقد اهتم بترميمها الخلفاء الفاطميين والأيوبيين في القرن الثاني عشر، وذكرها أيضاً المؤرخ تقي الدين المقريزي (١٤١٧م) باسم كنيسة القديسة مريم بالعدوية، كما ذكرها الجغرافي العربي الإدريسي والرحالة فانسليب، وكانت الكنيسة تابعة لأسقفية طموه ويرجع المبنى الحالي للكنيسة إلى القرن الثامن عشر، وقد وصفها المؤرخ البريطاني ألفريد بتلر (١٨٨٤)، وعلي باشا مبارك في الخطط التوفيقية (١٨٨٨)، وتم تجديدها في الفترة من ١٩٨٣- ١٩٩٣ .

---

(١) ميخائيل مكسي، المسيح في مصر، مرجع سابق، ص ٤٨ .

وقد أشار إلي مرور العائلة المقدسة بموقع الكنيسة كل من موهوب بن منصور بن مفرج الإسكندراني أحد كتبة كتاب "تاريخ البطاركة" وأبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود.

ويعتقد أن العائلة المقدسة استقلت مركباً شراعياً من هذه البقعة واتجهت نحو مصر العليا، بدءاً من منف (ممفيس).


2000 ans après
La Sainte Famille illumine Le Caire

١١- منف (ممفيس)

ذكرت في الكتاب المقدس باسم (نوف) كما جاء في إشعياء ١٩: ١٣ وإرميا ٢: ١٦ و٤٤:١ و٤٦: ١٤ و١٩، وحزقيال ٣٠: ١٣ و١٦، واسمها المصري القديم هو من –نفر، وسميت في العصر اليوناني منفيس وحرف العرب هذه التسمية إلى منف. وهي كانت مقراً لأسقفية قبطية، وكان يقع في نطاقها دير باسم الأنبا إرميا توجد بعض آثاره في المتحف القبطي بمصر القديمة. وقد أنجبت وعاش فيها بعض قديسي الكنيسة القبطية مثل الأنبا بولا الطموهي والشهيدين أبادير وإيرائي. وموقع منف الحالي هو أجزاء من البدرشين والحوامدية وأم خنان وحتى طموه جنوباً وميت رهينة شرقاً.

نخلة أهناسيا:

أشار تقي الدين المقريزي في خططه والتي ترجع لعام ١٤٤١ إلى وجود نخلة في هيراكليوبوليس (أهناسيا الحالية بمحافظة بني سويف) يعتقد أنها النخلة المذكورة في القرآن (سورة مريم).

ويغلب الظن أن أهناسيا هي المذكورة في الكتاب المقدس باسم حانيس (إشعياء ٣٠: ٤)، وكان اسمها المصري القديم هو حنن نسوت، وكانت عاصمة لمصر أيام الأسرتين التاسعة والعاشرة وأول من اتخذها عاصمة لملكه كان الملك نسو. وتذكر الأساطير القديمة أن الشمس أشرقت عندها لأول مرة في ذلك اليوم الذي خلقت فيه السماء والأرض، وقيل أيضاً إنه لما أمر إله الشمس بإبادة البشر، أرسل الإلهة سخمت للقيام بذلك وقد بدأت رحلتها من هذه المنطقة، وفيها عاشت

أسرة ليبية انحدر منها الملك شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين والمذكور في سفر الملوك الأول ١٤: ٢٥ و٢٦ وسفر أخبار الأيام الثاني ١٢: ٢-٩ .

الجدير بالذكر أن الشاهد الكتابي الذي ذكرت فيه حانيس، ذكرت فيه أيضاً صوعن (صان الحجر حالياً بمركز الحسينية بمحافظة الشرقية).

١٢- البهنسا[١]

كان اسمها المصري القديم هو بر-مز أي بيت الإله مز، ثم سميت في العصر البطلمي باسم أكسير نخوس، أي مدينة القنومة، نسبة إلى سمك القنومة، الذي كان يقدسه أهلها، ويعيش في المياه القريبة منها. وقد تم تخطيط شوارعها على الطراز اليوناني، فكانت الشوارع ذات زوايا قائمة، ويتوسطها السوق، ويحيط بالمدينة سور له أربعة أبواب.

وفي العصر الروماني صارت أكسير نخوس إقليماً قائماً بذاته، وتم تقسيم المدينة في العصر الروماني ثم في العصر البيزنطي إلى أحياء تحمل أسماء الآلهة وكل حي ينقسم إلى شوارع، وكان لها مجلساً للشيوخ.

وكانت في العصر القبطي من أشهر الأسقفيات، ومن أساقفتها الأنبا بطرس، الذي حضر مجمع أفسس عام ٤٣١[٢]، وقد تحولت الكثير من معابدها القديمة إلى كنائس، وفي القرن الخامس الميلادي كانت بها أديرة للرجال تضم نحو عشرة آلاف راهب وأديرة للراهبات تضم نحو اثنتى عشرة ألف راهبة.

وذكر المقريزي (١٤٤١م) أنه كانت توجد بها كنيسة على اسم السيدة العذراء، وحالياً توجد بها كنيسة واحدة باسم مارجرجس شيدت عام ١٩٢٣ .

البهنسا كما وصفها القديس چيروم:

قال القديس إيرونيموس (چيروم) وهو من قديسي القرن الخامس: "لقد ذهبت مع رفقائي إلى البهنسا والتي يعجز القلم عن وصف جميع الأمور العجيبة التي

(١) تتبع إدارياً مركز بني مزار بمحافظة المنيا، أما كنسياً فتتبع مطرانية بني سويف والبهنسا.
(٢) دكتور ميخائيل مكسي اسكندر، المسيح في مصر، مرجع سابق، ص٥١ و٥٢ .

شاهدناها، فإنها مملوءة بمساكن الإخوة، بحيث أن أسوارها كانت بارزة لكثرة عددهم، وتوجد أديرة أخرى حول الأسوار من الخارج يحسبها المرء مدينة أخرى. والمعابد والهياكل وجميع الساحات المحيطة بها مليئة بالرهبان، وتوجد ١٣ كنيسة يجتمع فيها الناس لأن المدينة كبيرة جداً، ويوجد مكان خاص للرهبان يصلون فيه في كل من هذه الأديرة. ولا يقل عدد الرهبان كثيراً عن عدد السكان، فإنهم يملأون المباني الواقعة في مدخل المدينة.. ويقال إن عدد الرهبان المقيمين في الداخل خمسة آلاف، وفي دائرة المدينة خمسة آلاف، ولا تمضي ساعة من النهار أو الليل إلا وتراهم يقيمون الخدمة الكنائسية، وجميع السكان مؤمنون يستمعون إلى الكتب المقدسة باستعداد، وماذا نقول عن مخافة الله عند هؤلاء القوم، فإنهم عندما رأونا نسير في الطريق ونحن غرباء اقتربوا منا وعاونونا(١)..

ويذكر التقليد أن العائلة المقدسة أقامت نحو أربعة أيام في منطقة تقع شرق البهنسا، عرفت فيما بعد باسم **أباي إيسوس** أي بيت يسوع. وكتب عنها الأنبا قرياقص أسقفها أن بلدة أباي إيسوس صارت شبيهة بالقبر المقدس ومذود المسيح وأورشليم السمائية وجبل سيناء وجبل جلعاد.

وذكر علي مبارك في الخطط التوفيقية (الجزء العاشر) أن قبط مصر مجمعون على أن السيد المسيح وأمه كانا بالبهنسا.

---

(١) القمص ميصائيل بحر، **تاريخ القديس الأنبا يحنس القصير**، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٣ و٢٤ .

١٣- دير الجرنوس[١]

يُعتقد أن العائلة المقدسة اتجهت بعد ذلك إلى قرية دير الجرنوس غرب مغاغة، وممن ذكروا ذلك:

١- **البابا تيموثاوس البطريرك ٣٦** (٤٥٧ - ٤٧٧م) حيث جاء في مخطوطة تحوي مقالات وتعاليم له، خطها تلميذه الشماس بطرس أن العائلة المقدسة اتجهت إلى منطقة شمال البهنسا واستظلت تحت شجرة وهناك قابلهم شيخ هرِم كان يرعى أغنامه، قدم ماء للطفل يسوع ليشرب، واستضاف العائلة المقدسة في منزله لمدة ثلاثة أيام.

٢- **أبو المكارم** في تاريخه (١٢٠٩م).

٢- **الأنبا قرياقص** أسقف البهنسا (القرن الخامس عشر).

٤- **تقي الدين المقريزي** في كتابه القول الإبريزي.

وقد أجمعوا على أنه يوجد إلى جوار كنيستها المسماة على اسم السيدة العذراء بئر مياه عذبة، يعتقد أن العائلة المقدسة قد شربت منه.

وقال الرحالة Maillet (١٧٠٣) إن أسقف هذه المنطقة كان يعرف من هذا البئر مدى ارتفاع مياه الفيضان في نفس العام، بعد ما يصلي القداس على مياه البئر ويدلي حبل في البئر لمعرفة ارتفاع المياه. وقد شاهد دي مابيه والذي كان قنصلاً لفرنسا لدى مصر (١٦٩٢م) هذا الاحتفال ووصفه في كتابه عن أحوال مصر في أواخر القرن السابع عشر، وإن كان قد ذكر اسم البلدة باسم بير

(١) القمص ميصائيل بحر، **هل زارت العائلة المقدسة منطقة دير الجرنوس؟**، جريدة وطني ١٩٦٦/٦/٥، انظر أيضاً تعليق **الدكتور لبيب يعقوب صليب** على هذا المقال بنفس الجريدة، عدد ١٩٦٦/٦/١٩ .

الجرنوس.

وكان في تلك المنطقة ديراً عامراً في القرن الرابع، سمي باسم دير العظيم أبو نجوم بيرجنوس، كما ترهب فيه بعض الرهبان في القرن الخامس على نظام الرهبنة الباخومية.

١٤- جبل الطير- سمالوط

يذكر التقليد أن العائلة المقدسة عبرت النيل من البهنسا واتجهت شرقاً إلى منطقة كونوبوليس (Conopolis) التي يوجد بالقرب منها دير السيدة العذراء بجبل الطير بمركز سمالوط حالياً.

وهناك تقليد متداول يقول إن عمال المركب الذي عبرت فيه العائلة إلى هذه المنطقة، قد أشعلوا ناراً ليستدفئوا خلال الرحلة ولكن النار اشتعلت في المركب، فأخذ السيد المسيح قليلاً من ماء النهر ورشه على النار فانطفأت ولم تترك أثراً بالمركب، وأنه عند اقتراب العائلة المقدسة من الجبل شاهد ركاب المركب صخرة توشك السقوط عليهم، فمد يسوع يده نحوها فثبتت وانطبع كف السيد المسيح على هذه الصخرة، لذا سمي هذا المكان بجبل الكف. وأشار العلامة أبو المكارم سعد الله الذي عاش في القرن الثاني عشر في كتابه عن: كنائس مصر وأديرتها أن الدير أقيم في الموضع الذي توجد به الصخرة المطبوعة عليها يد السيد المسيح، حينما لمس الجبل في هذا الموقع، وذكر نفس الكلام أبو صالح الأرمني.

ويذكر أن المريك ملك القدس الصليبي جاء إلى هذا المكان عام ١١٦٨ وقطع جزءاً من الصخرة المطبوع عليه كف السيد المسيح ونقلها إلى سوريا[١].

هذا ويذكر المقريزي في خططه (الجزء الرابع) أن هذه المنطقة سميت بجبل الطير، نسبة إلى طائر البوقيرس، الذي كانت تعيش ألوف منه في هذا الجبل، وهو طائر أبيض الريش، له منقار طويل وله أهداب حول عنقه.

ويقول الباحث الألماني أوتو ماينادروس إنه توجد لوحة بالدير يتضح منها

(١) الأنبا ديمتريوس أسقف ملوي، **رحلة العائلة المقدسة في ملوي**، ملوي ١٩٩٩، ص ٢٣ .

تاريخ إقامة مبناه الأول وهو عام ٤٤ش[1] الموافق ٣٢٨م، والذي شيدته الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين بالنحت في صخور هذا الجبل، وعرفت الكنيسة الأولى باسم كنيسة سيدة الكف، وكان موقعها في الجبل مرتفعاً، فكان الزوار يصعدون إليها بواسطة صندوق خشبي به حبل مُركّب على بكرة، ويتم سحبه بواسطة رجال مخصصون لهذه المهمة في أعلى الدير، لذا سميَ **بدير البكرة**، وفي القرن السادس عشر تم عمل ١٦٦ درجة حجرية لصعود الناس بدلاً من الصندوق. وكان هذا الدير عامراً بالرهبان حتى منتصف القرن التاسع عشر، وقد زاره وكتب عنه بعض الرحالة أمثال فانسليب (١٦٧٢) و ف.ل. نوردن (١٧٤٠) وريتشاردسون (١٨١٦) وهنكر (١٨١٩) واللورد كروزن (١٨٣٨)، كما كتب عنه الأب هنري عيروط اليسوعي مقالاً (١٩٥٧) بعنوان Le Pelerimage de El Adra.

وفي وصفها للدير تقول الدكتورة سعاد ماهر أستاذ الآثار الإسلامية أنه يقال إن الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين هي التي شيدت هذا الدير، وتم تجديده في عهد الأنبا ساويرس مطران كرسي المنيا والأشمونين عام ١٦٥١ ش الموافق ١٩٣٨م، والدير عبارة عن صالة بها ٤ أكتاف مربعة الشكل، بها أعمدة قديمة وتحيط بها أروقة من ٣ جهات. في الجهة الغربية حائط أعيد بنائه، كما يوجد باب حجري يرجع للقرن الخامس أو السادس الميلادي عليه زخارف محفورة في الحجر على شكل أسماك وأوراق نباتية ورسوم لقديسين وزخارف هندسية[2].

(1) Otto F. Meinadus, **Two Thounds Years of Coptic Christianity**, Cairo, American University, 1999, p214 .

(٢) د. سعاد ماهر، **محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي**، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٦٣ .

١٥- الأشمونين

اتجهت العائلة المقدسة من منطقة كونوبوليس نحو هرموبوليس (الأشمونين حالياً) والتي تبعد عن ملوي[١] بتسعة كيلومترات وعن تل العمارنة بنحو ٣٠ كيلومتراً، وهي من المدن المصرية القديمة، وكان اسمها في العصر الفرعوني خمنو، ومعنى هذه التسمية هو "ثمانية"، حيث كان يعبد بها ثمانية آلهة، منها ما صوِّر بالأرنب، وما صوِّر بالقرد، وكان أبرز الآلهة التي عبدت فيها الإله تحوت إله الحكمة والكتابة والعلم، ولذا فقد تأصلت فيها أسرار الفكر المصري الذي كان يربط بين العلوم والبحث عن السعادة الأبدية في العالم الآخر[٢]. وكان الإله تحوت يصوَّر أحياناً كرجل، رأسه رأس الطائر أبيس (أبو منجل)، وفي العصر اليوناني سميت باسم هرموبوليس، نسبة إلى الإله هيرميس، وارتبطت العبادة الجديدة فيها بالطائر أبيس وكانت في أيام بطليموس من أكبر المدن المصرية. وفي العصر القبطي حرف اسم خمنو إلى شمون، وبعد تهدم المدينة القديمة سميت شمون با.

يذكر التقليد المحلي إنه حينما جاء السيد المسيح إلى هذه البلدة تحطمت التماثيل التي كانت قائمة في المعبد الرئيسي، وذكر المؤرخ اليوناني S. Ozomene (بداية القرن الخامس) أنه سمع عن شجرة لبخ كانت منزرعة في الأشمونين وكان

---

(١) سميت ملوي في العصر الفرعوني باسم مرو، ومعنى هذه التسمية هو مستودع الأشياء، وحرفت التسمية في العصر القبطي إلى ملوي. وذكرها أميلينو في كتابه الشهير **جغرافية مصر في العصر القبطي** باسم Manlaau، واستقر اسمها الحالي منذ عام ١٨٣٩ . وهي كانت قرية تتبع الأشمونين، ثم نقل إليها ديوان الولاية، وصارت مركزاً إدارياً يتبع أسيوط عام ١٨٩٠، ثم ضُمَّت بعد ذلك لمحافظة المنيا.

راجع: أشرف سيد محمد البخشونجي، **كنائس ملوي الأثرية، دراسة أثرية معمارية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، قدمت لكلية الآثار بجامعة القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٥ و٢٦ .

(٢) د. زبيدة محمد عطا، **إقليم المنيا في العصر البيزنطي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص ٢٤ .

يقدسها السكان، وحينما جاء السيد المسيح نحوها انحنت، ثم انتصبت وصارت تؤتي ثمراً[1]. وقد ذكر أبو المكارم نفس الشجرة في تاريخه وقال إن ثمارها كانت حمراء اللون، وأنه جرت محاولة لقطعها في أيام البابا أغاثون الإسكندري البطريرك ٣٩ (٦٥٨- ٦٧٧) لكنها لم تتم، وتأيدت هذه الرواية بما جاء في مخطوطات عثرت عليها بعثة أثرية فرنسية في الأشمونين عام ١٨٨٧ وأشارت لما يتداوله التقليد عن المعجزات التي أجراها الرب في هذه المنطقة. وقد تحدث عن زيارة العائلة المقدسة للأشمونين كل من يوسابيوس القيصري (القرن الرابع) والقديس أثناسيوس والعلامة أوريجانوس والقديس قرياقص أسقف البهنسا، كما تحتفظ المكتبة الأهلية بباريس بمخطوط قبطي يحمل رقم ١٥٥ ويحتوي عظة حول نفس الموضوع.

وعبر تاريخها كانت الأشمونين غنية بالكنائس والأديرة، ومن أشهر معالمها الأثرية الحالية :

الكاتدرائية (البازيليك) وهي ذات دهليزين أحدهما غربي كبير والآخر قبلي صغير، ويقع مدخلها في الجانب الغربي محاطاً بأربعة أعمدة، أما صحن الكنيسة فيتكون من ثلاثة أجنحة بطول حوالي ٤٢٥ متراً وبه ١٢ عموداً جهة الجنوب و٧ أعمدة جهة الشمال وعمودان جهة الغرب[2]. ويعتقد أوتو مايناردوس أن هذه الكنيسة كانت في الأصل معبداً يونانياً وتحول إلى كنيسة. ويرجح البعض أنها كانت معبداً باسم بطليموس الثالث وزوجته بيزينيس. وكانت بعثة أثرية من جامعة

(١) الأنبا ديمتريوس، **رحلة العائلة المقدسة في ملوي**، مرجع سابق، ص ٢٨ و٢٩ .

(٢) أشرف البخشونجي، **مرجع سابق**، ص ٣٨ .

الإسكندرية بإشراف الأثري آلان وايس قد قامت بحفائر عام ١٩٥٠ حول هذه البازيليك، وتبين للبعثة أن هذه الكنيسة كانت كبرى خمس كنائس على الأقل شيدت في الأشمونين تخليداً لزيارة العائلة المقدسة، وكلها باسم السيدة العذراء. وكانت البازيليك الكبرى تحتوي ٤٨عموداً من الجرانيت الوردي، قامت هيئة الآثار بترميم ٣٠ عموداً منها منذ أكثر من ربع قرن. وقد عثر تحت أطلال البازيليك على رفات يرجح أنها رفات الأنبا أندراوس مطران الأشمونين في بداية القرن الخامس الميلادي. والجدير بالذكر أن الأشمونين كانت مركزاً للأسقفية[١]، ومن أساقفتها الأنبا أندراوس الأشموني الذي حضر مجمع أفسس، وأيضاً أبو بشر ساويرس بن المقفع المصري أسقفها في القرن العاشر، والتي سترد سيرته في صفحات تالية.

وقد ذكر أبو المكارم سعد الله بن جرجس أنه رأى في الأشمونين كنيسة باسم السيدة العذراء تحتوي عدة أعمدة رخامية، أحدها اشتهر بين الناس أنه يحمل آثار يد السيد المسيح، ولكن إذا كان هذا الوصف صحيحاً فإنه ينطبق على كنيسة أخرى غير البازيليك، أقل منها مساحة، وهي تقع في المنطقة بين معبد رمسيس واستراحة هيئة الآثار وشمال معبد نيرون الذي كشف عنه الأثري الدكتور عبد المنعم أبو بكر عام ١٩٤٦ .

ومن جهة أخرى فقد عثرت بعثة أثرية من جامعة أكسفورد عام ١٩٨٤ على أربعة أعمدة ذات تيجان ضخمة، وذلك في الميدان الذي يقع غرب البازيليكا.

ومن الأديرة التي كانت قائمة في الأشمونين:

---

(١) الراهب صموئيل السرياني (الأنبا صموئيل أسقف أشبين القناطر حالياً). **بازيليك الأشمونين**، رسالة المحبة، يونيو ويوليو ١٩٨٥ ص ٢٢٨ .

١- دير القديس أبو فانا[1]:

ينسب هذا الدير إلى القديس Epiphanius الذي عاش متوحداً في مغارة على بعد ١٤ كيلومتراً شمال غرب الأشمونين وعلى بعد ٨٠ متراً يمين بقايا هذا الدير وذلك في النصف الأخير من القرن الرابع الميلادي وبضع سنوات في القرن الخامس، وقد وجدت سيرة حياته في مخطوطة كتبها تلميذه أفرام ،وهي محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس.

وهذا الدير شيد في القرن السادس الميلادي، وأشار إليه المقريزي فقال:

"دير يرفانا بحري بني خالد، وهو مبني من الحجر، وعمارته حسنة، وكان به في القديم ألف راهب، وليس به الآن سوى راهبين.

وظل دير أبو فانا عامراً بالرهبان إلى ما بعد القرن الثالث عشر، إذ كان البابا ثاؤدوسيوس الثاني البطريرك ٧٩ مترهباً به قبل انتخابه بطريركاً.

٢- دير القديس أبولو[2]:

ينسب إلى القديس أبولو الذي ولد في أخميم في النصف الأول من القرن الرابع، ترهب لمدة ٣٠ عاماً، سيم بعدها قساً، وصار له رهبان تلاميذ، فأرشده الرب إلى منطقة الأشمونين حيث أقام مع جماعته الرهبانية هناك.

ومن الشخصيات القبطية الهامة التي تنسب للأشمونين:

---

(١) القمص ميصائيل بحر، **القديس أبو فانا وديره بالأشمونين**، مجلة الكرازة ١٩٧٨/١٢/١٣ .

(٢) القمص ميصائيل بحر، **الأنبا أبولو وديره في الأشمونين**، مجلة الكرازة، ١٩٧٩/٨/١٧ .

ابن المقفع[1]

الذي عرف عنه أنه **أول كاتب مسيحي مصري كتب باللغة العربية.**

حيث يتحدث د. عبد الله خورشيد في كتابه "أوراق مصرية" عن "ابن المقفع المصري" ويقصد به ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (من أعمال ملوي) والذي عاش في النصف الأخير من القرن العاشر، باعتباره من أوائل الكتّاب الكنسيين الذين كتبوا في اللغة العربية، ويقول "إنه لما كان ساويرس رجلاً ذكياً، واسع الاطلاع، يجيد العربية، فكثيراً ما كان ينتصر في المناظرات والمجادلات التي كان يروق للمعز لدين الله (٣٦٥هـ) عقدها في قصره، خاصة وأن ساويرس كان من الشخصيات الدائمة في مجلس المعز " .

وعن كتاب ساويرس الشهير "تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة" يقول الدكتور خورشيد إن لغته من حيث المفردات والأسلوب والنحو تشكل وثيقة هامة في مسألة انتشار اللغة العربية بين سكان البلاد الأصليين من جهة، ونشوء اللغة العامية أي اللهجة العربية الخاصة بمصر من جهة أخرى.

ويضيف: إن ساويرس لم يكن يعرف العربية فحسب، وإنما كان يجيد التعبير بها تعبيراً أدبياً فنياً يحمل طابع العصر الذي عاش فيه..

كما أن القاريء سرعان ما يلتفت في الكتاب إلي كلمات وظواهر وتعبيرات هي تماماً نفس ما نجدها اليوم ونستعملها في لغتنا العامية، ويستنتج الكاتب من

---

(١) دراسة للكاتب، نشرت في مجلة أجنحة النسور، يناير ١٩٨٦ .

دراسته لكتاب "تاريخ البطاركة" أن الشعب المصري (في القرن الرابع الهجري) كان تَعَرُّبُهُمْ اللساني قد تم على أوسع نطاق، بمعنى أن الشعب كله -لا طبقة بعينها منه- قد أصبح يتكلم العربية بهذه اللهجة التي نراها في كتاب ساويرس.

ويضيف أيضاً أنه لما تكلم المصريون العربية لم يعن هذا أن اللغة القبطية قد محيت تماماً. إنما أصبح كثير من ألفاظها وخاصة ما يتعلق بالنواحي العملية ينطق نطقاً عربياً، ومن أمثلة ذلك كلمات:

أواسي (جمع وسية) -قيراط- قانون- كورة(إقليم)- كوم- طوب- شونة- شراقي- أردب- قنديل.

وما ينطبق على اللغة القبطية ينطبق على اليونانية أيضاً.

وقد خلُص الدكتور خورشيد استناداً إلى كتاب "تاريخ البطاركة" إلى تحديد الزمن الذي تكلمت فيه مصر اللغة العربية، مغيرة بذلك لسانها الذي تكلم اليونانية لعدة قرون ثم تكلم القبطية، وبتحديد هذا الزمن يتحدد أيضاً الزمن الذي تبلورت فيه القومية العربية في مصر التي أصبحت منذ ذلك الوقت عضواً مهماً في الأسرة العربية الكبيرة.

ساويرس بن المقفع- من هو؟؟

للتعرف على شخصية وأعمال ساويرس أفردت عشرات من الكتب والرسائل الجامعية التي قدمت لبعض جامعات الخارج. ويعتبر الأب الدكتور سمير خليل اليسوعي (أستاذ الأدب المسيحي العربي بمعهد الدراسات البابوية بروما). من أبرز العلماء الذين اهتموا بدراسة وتحقيق أعمال ساويرس بن المقفع- وفي

تحقيقه لكتاب ساويرس "مصباح العقل" (المنشور في القاهرة، ١٩٨٧) عرض لسيرة هذه الشخصية– ومن هذا العرض نرى:

إن ساويرس ولد حوالي ٩١٥م وأغلب الظن أن نشأته كانت في منطقة "مصر القديمة" الحالية بالقاهرة، وقد درس اللغة العربية والفلسفة اليونانية وعلم الكلام وغيرها من العلوم، فلا نجد مصنفاً من مصنفاته إلا وفيه رد فلسفي دقيق، كما أنه لجأ أحياناً إلى الطب لتوضيح بعض الأمور، كما نرى مثلاً في كتاب "البيان المختصر في الإيمان" أو إلى علم النجوم.

وقد تدرج في الوظائف أيام الدولة الأخشيدية حتى أصبح كاتباً ماهراً، وكانت وظيفة "الكاتب" في هذا الحين وظيفة مهمة في الدولة.

وكانت هذه الوظيفة تستوجب أن يكون صاحبها متضلعاً في اللغة العربية (وهذا ما أكده الدكتور عبد الله خورشيد في الكتاب وغيره من الباحثين).

وقد ترهب ساويرس (وكان اسمه قبل الرهبنة أبي البشر) في أحد الأديرة، لم يتعرف أي من الباحثين عليه للآن، وفي فترة الرهبنة استكمل تكوينه الديني. وفي دراسة الأب الدكتور سمير خليل عنه، يقول إن دراسته العميقة للكتاب المقدس تتضح في مثالين مما كتب:

أولهما –في كتابه "**الدر الثمين في إيضاح الاعتقاد في الدين**"، حيث أورد فيه ١١٦١ نصاً كتابياً (٣٠٧ من العهد القديم + ٨٥٤ من العهد الجديد).

ثانيهما– في الفصل العاشر من كتاب (تفسير الأمانة) نجده يقدم تفسيراً لقانون الإيمان "مشحوناً" بالآيات الكتابية، إن صحَ اللفظ.

ويضيف الأب الدكتور سمير خليل "لقد قرأنا عشرات، بل مئات من مؤلفات النصارى العرب، إلا أننا لم نجد أبداً خلال دراستنا للمفكرين العرب من يضاهي ساويرس في معرفته للكتاب المقدس...

ويغلب الظن أنه رُسم أسقفاً على إيبارشية الأشمونين في عهد البطريرك الستين الأنبا ثاؤفانيوس (٩٥٣ – ٩٥٦م) أو في عهد البطريرك الذي خلفه وهو الأنبا مينا الثاني (٩٥٦– ٩٥٧م).

وقد وضع ساويرس العديد من المؤلفات. بعضها مطبوع والبعض الآخر مخطوط، والبعض الثالث مفقود. وقد ذكر أبو البركات بن كبر (المتوفي سنة١٣٢٤م) ٢٦ مؤلفاً له، منها:

(١) في التوحيد.

(٢) في الاتحاد.

(٣) الباهر.

(٤) رسالة في الديانة كتبها إلى أبي اليمن قزمان بن مينا الكاتب– وقد قام الأب سمير خليل بتحقيقه.

(٥) نظم الجوهر والدر، في الرد على القول بالقضاء والقدر (نسخه ناسخ قبطي في القرن ١٦ في مخطوطة محفوظة بالمكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين ببيروت برقم ٥٨٩).

(٦) طب الفم وشفاء الحزن وتهذيب الأخلاق (أعد الأب سمير خليل بحثاً حول

مخطوطات هذا الكتاب ونشره بمجلة Le museon المجلد ٨٦، ١٩٧٦ في لوفان ببليچيكا)، كما أعد د. رفعت يسى عبيد دراسة أخرى عن هذا الكتاب .

(٧) كتاب سير البيعة المقدسة أو تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية (والذي ركز الدكتور عبد الله خورشيد دراسته حوله)- صدرت من هذا الكتاب عدة طبعات:

فقد نشر المستشرق الألماني ريكويف، سير البطاركة العشرة الأولين المنشور فيه مع ترجمة لاتينية (١٧٥٨ / ١٧٥٩م)، كما نشره كاملاً مع ترجمة إنجليزية المستشرق الإنجليزي Evetts (بين عامي ١٩٠٧ و ١٩١٥) وطبعه كاملاً أيضاً في بيروت المستشرق الألماني زيبلد (بين ١٩٠٤ و ١٩١٠). وفي مصر نشرته جمعية الآثار القبطية بإشراف يسى عبد المسيح وعزيز سوريال عطية وأوزوالد بورمستر وأنطوان خاطر منذ أواخر الأربعينيات.

كما نشرت طبعة عربية مختصرة له في ألمانيا بإشراف المستشرق زيبلد سنة ١٩١٢ .

(٨) كتاب الدار الثمين في إيضاح الدين ، نشره مرقس جرجس في القاهرة سنة ١٩٢٥ وأعادت مدارس التربية الكنسية بشبرا نشره سنة ١٩٧١ مع تقسيم النص إلى مقاطع وإضافة بعض الحواشي، كما نشر المستشرق الألماني بول مايبرجر الأبواب الخمسة الأولى منه (دون ترجمة) مع دراسة عن الكتاب في فيسبادن بألمانيا سنة ١٩٧٢ .

(٩) في اختلاف الفرق ، نشره المطران بطرس كامل مدور في مجلة "المسرة" البيروتية سنة ١٩٧٠، كما نشر الأب سمير خليل خلاصته تحت عنوان "نص

قبطي قديم عن الوحدة" (في مجلة رسالة الكنيسة، تصدرها مطرانية الأقباط الكاثوليك بالمنيا، المجلد ٢- ١٩٧٠). ونشره أيضاً المستشرق الألماني يوليوس اسفلج مع ترجمة ألمانية في القاهرة سنة ١٩٥٥ .

(١٠) مصباح العقل (نشر الأب سمير خليل أجزاءً منه في مجلة رسالة الكنيسة سنة ١٩٧٥، ثم نشره كاملاً في القاهرة سنة ١٩٧٨، ونشر بحثاً عنه مع مقدمته في مجلة الشرقيات المسيحية (مجلد ٤١، روما- ١٩٧٥)، كما طبعه فيما عدا البابين الأخيرين الدكتور رفعت يسى عبيد وم. يونج مع ترجمة إنجليزية سنة ١٩٧٥).

(١١) البيان المختصر في الإيمان (نشر الأب سمير خليل المقدمة والأبواب ٣ و٤ و٥ في مجلة رسالة الكنيسة، ١٩٧٦).

١٦- ديروط الشريف

يشير التقليد إلى أن العائلة المقدسة اتجهت من الأشمونين إلى قرية تبعد بحوالي ٢٠ كيلومتراً جنوبي الأشمونين تسمى فيليس أو Kenis وموقعها الحالي هو بلدة ديروط الشريف.

وقيل إنه كان من سكانها نجاراً يدعى ديانوس، تعرَّف على يوسف الصديق، إذ التقى به من قبل في أورشليم، وكان لهذا النجار ابن مريض، فشفاه يسوع.

ومن ديروط الشريف مرت العائلة المقدسة بيلاو ثم صنبو والتي كانت مقراً لأسقفية في العصر القبطي كما كان بها ديراً ظل عامراً بالرهبان حتى القرن الخامس عشر.

١٧- حاجر أنصنا

أسس هذه المنطقة حوالي سنة ١٣٠م الامبراطور الروماني هادريان (حكم في الفترة من ١١٧ – ١٣٨م)، واستغرقت عملية تشييدها نحو ٤ سنوات وأطلق عليها اسم أنطينوبوليس أو أنتينويه، ومنها جاءت تسمية المنطقة الحالية: أنصنا.

ويذكر المؤرخ المصري أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (١٨٧– ٢٥٧ هجرية الموافقة ٨٠٣– ٨٧١م) أن العرب هم الذين عربوا اسم أنطينوبوليس إلى أنصنا، جرياً على الأسلوب العربي في الاشتقاق اللغوي.

كما ذكر جان فرانسوا شامبليون في كتابه عن تاريخ مصر القديمة (ج١ ص ٤٧٠) أن الامبراطور هادريان جاء إلى مصر للمرة الأولى سنة ١٢٢م، وكان بصحبته صديق شاب اسمه أنطونيوس، وقد غرق في النيل أثناء جولة للامبراطور في مصر العليا، وبكاه الامبراطور وشيد هذه المدينة على اسمه بقرب المكان الذي غرق فيه.

واختلفت الروايات حول غرق أنطونيوس، فقد ذكر البعض أنه حادث غرق عادي عندما كان هذا الشاب يملأ إناء بالماء من النيل. وقالت إحدى الروايات أن هذا الشاب ألقى بنفسه في النيل، درءاً لخطر، كان سينزل بالامبراطور هادريان حسب ما قال العرافون.

والشيء الوحيد الذي اتفقت عليه مختلف الروايات هو أن هادريان أقام مدينة جديدة في المكان الذي غرق فيه صديقه الشاب، وأطلق عليها اسمه تخليداً لذكراه. كما أن الامبراطور أصدر أوامره باعتبار أنطونيوس في مرتبة الآلهة.

وكانت المنطقة التي أقيمت عليها المدينة الجديدة تسمى بيزا أو بيسا نسبة إلى معبودها الإله الفرعوني "بس" رمز المرح ودافع الحسد. وقد بنيت المدينة الجديدة على الطراز الإغريقي، ومن ثم أصبحت مركزاً لنشر الحضارة الإغريقية، وفيها امتزجت الديانتان المصرية والرومانية وامتزج الإله المصري "أوزوريس" بأنطونيوس وصار اسم حامي المدينة "أوزيرأنطينوس" Osirantinoss.

ويقال إن هادريان جمع الرومان المتفرقين في مختلف جهات مصر، ولا سيما من مدن: نقراطيس وبطلمية وأكسيرنخوس وأسكنهم في هذه المدينة مع من جلبهم من بلاد الروم، فضلاً عن عدد من المصريين.

وقد منح هادريان لهؤلاء حقوقاً لم يحصل عليها سكان باقي المدن الأخرى، وفي بردية ترجع إلى ما بين ١٣٥ و ١٥٦م كتب أنه وقع الاختيار بالقرعة على بعض مواطني "بطلمية" لينتقلوا إلى "أنطونيوبوليس" مع إعفائهم من القيام بالأعباء والواجبات الإجبارية خارج محل إقامتهم الجديد.

كما نالت هذه المدينة امتيازاً آخر، لم تنله المدن الإغريقية الأخرى بمصر ومنها الاسكندرية، وهذا الامتياز هو حق تأسيس مجلس للشورى بها، كما أنشئت فيها بعض المنشآت ذات الطابع الإغريقي المتميز كالمتحف والكابيتول والجيمينزيوم والحمامات العامة، بالإضافة إلي المعابد المشتركة بين المصريين والإغريق مثل معبد "أنطوني" ومعبد "أفروديت" ومعبد "هاتور" ومعبد "أبيس"، وقد ظلت بقايا هذه المعابد قائمة حتى مجيء الحملة الفرنسية (١٧٩٨م) إذ وصف علماؤها هذه البقايا.

وأصبحت هذه المدينة مركزاً تجارياً هاماً، وصارت ميناءً تجارياً كبيراً، وقامت فيها صناعات كالنسيج والفخار ومعاصر النبيذ، كما اشتهرت بزراعة النخيل والكروم والقمح.

في العصر القبطي:

كانت هذه المنطقة مقراً لأسقفية قبطية سميت "أسقفية أنصنا"، ومن أساقفتها: الأنبا تيموثاوس (أواخر القرن الثالث) والأنبا طيباريوس (حضر مجمع نيقية في سنة ٣٢٥م)، والأنبا أريون- والأنبا بقطر- والأنبا قزما- والأنبا سرابيون- والأنبا مرقس- والأنبا إسحق.

وقد ظلت هذه الأسقفية قائمة حتى منتصف القرن الرابع عشر، إذ تذكر المراجع لقب أسقفها في ذلك الوقت بأنه "أسقف بوفيس وأنصنا"، وبوفيس مدينة قديمة تطل على النيل، وكانت على مقربة من أنصنا- كما أنها كانت أسقفية مستقلة، ويبدو أنها ضمت إلى أسقفية أنصنا في الزمان المذكور، كما ذكرت أيضاً مقترنة باسم "الخصوص" وهي مدينة قديمة أيضاً كان بها ٢٥ كنيسة أشهرها كنيسة "أبو فانا" وتنسب إلى "أبيفانوس" (Epiphane) أسقف سلامين بجزيرة قبرص في القرن الرابع، وقد عرف عنه إجادته للغات اليونانية والسريانية والأرامية والمصرية القديمة، وغير معروف سبب تسمية هذه الكنيسة باسمه، وكان قد شيدها شخص يدعى الرشيد أبو الفضل، وتوجد ترجمة حياته في مخطوطة محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس.

وكان في منطقة أنصنا -بحسب ما ذكر المؤتمن سعد الله بن جرجس مسعود

في أوائل القرن الثالث عشر- تسعة كنائس، منها كنيسة على اسم السيدة العذراء، اكتشفتها بعثة أثرية إيطالية في منتصف الأربعينات من القرن الحالي. كما ذكر أنه كان فيها ١٢ ديراً وكان في كل دير منها كنيسة واحدة أو عدة كنائس.

وفي دليل للبرديات اليونانية في المتحف البريطاني، ذكر أن الملكة هيلانة أنشأت ديراً في هذه المنطقة، كما أن الامبراطور تيودوسيوس الثاني شيَّد فيها كنيسة كبرى في القرن الخامس. وكانت لأديرتها ممتلكات واسعة.

وفي عام ١٩٨٦ كشفت بعثة أثرية تابعة لجامعة روما عن مقبرة ترجع لبداية العصر القبطي، في منطقة الشيخ عبادة كما قامت بعثة في جامعة فلورنسا بترميم البرديات التي عثر عليها في هذه المنطقة[١].

(١) الأهرام ١٩٨٦/٢/١٦ .

١٨- دير أبو حنس

يذكر بعض المؤرخين أن العائلة المقدسة استراحت لمدة يوم واحد في قرية دير أبو حنس، والتي سميت بهذا الاسم لوجود دير فيها باسم القديس يحنس القصير، سمي في فترة من الزمن بدير النعناع، وقد بلغت مساحته أكثر من ثلاثة أفدنة، وترهَّب فيه البطاركة: ثيؤدورس البطريرك ٤٥ (٧٣٠م) وميخائيل الثاني البطريرك ٥٣ ويوحنا الخامس البطريرك ٧٢ .

وفي داخل الدير كانت توجد الكنيسة التي لازالت باقية حتى الآن، والتي ترجع إلي بداية القرن الخامس الميلادي، والتي وصفها بتلر فقال إن مبناها على النظام البيزنطي، أكثر من النظام البازيليكي (يعتقد أن تصميمها الأصلي كان بحسبه). ومدخل الكنيسة ليس كبيراً ويبلغ عرض أسوارها نحو مترين، وكان لها عدة مداخل لم يبق منها إلا المدخل الغربي وينخفض عن سطح الأرض بحوالي سبع درجات. ومن الواضح أن الكنيسة شيدت لكي تسع عدة مئات من المصلين، وهذا دليل على كثرة عدد رهبان الدير الذي كان قائماً في هذا المكان، وبالكنيسة ثلاثة هياكل، البحري منها على اسم السيدة العذراء مريم وبداخله لوحة من الرخام الأبيض عليه كلمات قبطية ويونانية منسوبة إلى امرأة تدعى فيرونية (تنيحت عام ٩١٠م)، وقد أشار إلى هذه اللوحة علماء الحملة الفرنسية، كما تحتفظ الكنيسة بعدد من المخطوطات والصلبان والأيقونات الأثرية. وقد كشفت هيئة الآثار عن بعض الرسومات الجدارية بطريقة الفرسك في بعض جدران الكنيسة وبخاصة في الجزء الشرقي من الجدار الشمالي كما تم الكشف عن بقايا كتابات قبطية.

١٩- بئر السحابة

يوجد هذا البئر والذي يذكر التقليد أن السيد المسيح أنبعه، بين دير أبو حنس والشيخ عبادة، وهو بالقرب من دير السيدة العذراء في أنصنا، وسمي بهذا الاسم نسبة إلي السيدة العذراء السحابة الخفيفة كما وصفها إشعياء النبي.

٢٠- كـوم ماريا

كوم كبير تبلغ مساحته حوالي ١٩ فداناً، كان تابعاً لهيئة الآثار حتى عام ١٩٩٨، وقد اعتاد سكان دير أبو حنس والقرى المجاورة أن يحتفلوا في اليوم الأول من شهر يونيو من كل عام بالصلاة فيه تذكاراً لزيارة العائلة المقدسة، وأيضاً في يوم عيد السيدة العذراء "حالة الحديد".

٢١- جبل قسقام (القوصية)

سميت القوصية في العصر الفرعوني باسم "قوست" وهو اسم مشتق من Kockou ومعنى هذه التسمية هو مقبرة الإله حاتحور.

ويشير حان فرانسوا شامبليون إلى وجود بلدتين هما قوسقام Kockam والقوصية Qousieh بينما يرى الأثري كاترمير أنهما مدينة واحدة بحسب المخطوطات القبطية التي اطلع عليها في المكتبة الوطنية بباريس، وأضاف أن أسقف القوصية كان في نفس الوقت أسقفاً للدير المحرق[١]. وتكتب القوصية في اللغة القبطية "قوص كوا" أو "قوصيا"، وفي نص مكتوب باللغة القبطية على ورق بردي ومنسوب للأنبا قرياقص أسقف البهنسا ذكر أن سكانها رفضوا استقبال العائلة المقدسة.

ويعتقد الأنبا اغريغوريوس أسقف البحث العلمي بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية أن البلدة المقصودة في هذا النص ليست القوصية الحالية وإنما بلدة قريبة منها.

ومن هناك اتجهت العائلة المقدسة إلي بلدة مير والتي تبعد حوالي ٧ كيلومترات إلي الغرب من القوصية، ومن مير صعدت إلي جبل قسقام حيث أقامت العائلة المقدسة، وبحسب التقليد كانت إقامتها في منزل صغير، شيده يوسف النجار من الطوب وغطاه بأغصان نخيل، وكان يقع مقابله بئر ماء، وقرب المنزل كانت توجد مغارة صغيرة، تلجأ إليها أحياناً السيدة العذراء مع يسوع الطفل،

---

(١) ميخائيل مكسي، المسيح في مصر، مرجع سابق، ص ٦٣-٦٩ .

وقد تحولت هذه المغارة إلى كنيسة فيما بعد.

ويذكر التقليد المتداول أن السيد المسيح أجرى معجزات شفاء كثيرة لأهل هذه المنطقة، كما أن السيد المسيح أجرى معجزة لتحويل الماء إلى خمر.

ويقال إن أحد أقارب السيدة العذراء واسمه يوسي (يرجح البعض أنه بن مريم زوجة كلوبا وأخت السيدة العذراء والمذكورة في مت ٢٧: ٥٦ ومر ٦: ٣ ويو ٢٥: ١٩ ويرى البعض الآخر أنه كان إبن يوسف النجار من زوجة سابقة، ويقال إنه رقد في هذه المنطقة ودفن فيها) ، قد جاء إلى العائلة المقدسة إبان وجودها في هذا المكان بإرشاد إلهي ليعلن لهم أن هيرودس قتل أطفال بيت لحم وما حولها.

كما تجمع المصادر التاريخية على أنه في هذا المكان ظهر الملاك غبريال ليوسف النجار، في حلم ليخبره بموت هيرودس، ويطلب منه العودة إلى فلسطين (مت ٢:١٩).

ويقع دير السيدة العذرآء المعروف باسم الدير المحرق في المكان الذي يعتقد أن العائلة المقدسة أقامت فيه بجبل قسقام، ويبعد نحو ٤٨ كيلومتراً شمال غرب أسيوط ونحو ١٢ كيلومتراً غرب القوصية، وتوجد داخله كنيسة باسم السيدة العذراء يقال إن هيكلها هو البيت الذي أقامت فيه العائلة المقدسة ويعتقد أنها أول كنيسة شيدت في مصر، وترجع لحوالي سنة ٦٠م، والمبنى الحالي للكنيسة يرجع للقرن التاسع عشر ، ماعدا جزء من الحائط القبلي والهياكل تعود للقرن السادس عشر . وكانت توجد أعلى هذه الكنيسة كنيسة أخرى باسم الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بنيت في أوائل القرن التاسع عشر، ثم أزيلت عام ١٩٣٦ حتى لا تؤثر

علـى كنيســة السـيـدة الـعـذراء الأثرية، ونقل حـامل الأيقـونات والذي يرجـع إلي منتـصف القرن الثالث عشر (حوالي سنة ١٢٤٥م) منها إلي كنيسة السيدة العذراء.

ومن المعالم الأثرية بالدير الحصن والذي شيد في عهد الملك زينون حوالي سنة ٤٨١م وبالطابق العلوي منه كنيسة باسم رئيس الملائكة ميخائيل كان يستخدمها الرهبان للصلاة وقت اختباءهم من غارات البربر وقد رمم هذه الكنيسة البابا غبريال السابع (البطريرك ٩٥) في متصف القرن السادس عشر، كما توجد ثلاث كنائس، أحدها باسم القديس مارجرجس ترجع إلي سنة ١٨٨٠ وكنيسة خارج أسوار الدير باسم السيدة العذراء[١].

وقد شيد الأنبا باخوميوس مؤسس نظام رهبنة الشركة الدير المحرق الحالي حول هذه الكنيسة في سنة ٣٤٩م.

وتختلف الآراء حول المدة الزمنية التي أقامتها العائلة المقدسة في تلك المنطقة. ومنها رأي بأنها ستة أشهر وعشرة أيام.

---

(١) الأنبا ديمتريوس، العائلة المقدسة في ملوي، مرجع سابق، ص ٤١-٤٤ .

٢٢- درنكة[1]

تقع بلدة درنكة على بعد حوالي ٨ كيلومترات غربي مدينة أسيوط، وقد اشتقت كلمة "درنكة" من دير الأديرة، حيث كان يوجد بهذه المنطقة استناداً لما ذكره تقي الدين المقريزي ٧٦ ديراً، ووجدت فيها مقابر ترجع إلى الأسرات من التاسعة وحتى الثالثة عشرة. وقد عاش في مغارات جبلها آلاف الرهبان إبان الاضطهاد الروماني.

ويرجح أن العائلة المقدسة مرت بدرنكة وهي في طريقها إلي ميناء أسيوط، لركوب إحدى المراكب من هناك نحو الوجه البحري. وتشتهر درنكة حالياً بوجود دير على اسم السيدة العذراء فيها، بدأ في تشييده مطران أسيوط الحالي الأنبا ميخائيل منذ عام ١٩٤٨ على ارتفاع نحو ١٠٠ متر من الأرض الزراعية وتوجد به كنيسة تعرف بكنيسة المغارة، حيث أقيمت على مغارة ترجع لحوالي ٢٥٠٠ ق.م يُعتقد أن العائلة المقدسة أقامت فيها، وكانت تلك المغارة في الأصل محجراً، ثم تحولت إلي كنيسة، وفي نهاية القرن الثالث الميلادي تحولت الكنيسة إلي دير تحت رعاية القديس يوحنا الأسيوطي الذي ترهب في وادي النطرون لمدة عشر سنوات ثم جاء إلي الجبل الغربي وعاش في مغارة لمدة ٣٠ عاماً تبعد بنحو مائة متر عن الدير الحالي.

---

(١) منى الملاخ وباسمة وليم، **مولد العذراء في جبل أسيوط**، مجلة المصور، ١٩٩٨/٨/٢١ .

رحلة العودة

تتفق أغلب المراجع على أن رحلة العودة بدأت من أسيوط، حيث استخدمت العائلة المقدسة مركباً شراعياً وصلت به إلى مرسى "منف" ثم عبرت إلى منطقة المعادي الحالية، ثم مرت على بابيلون، فالمطرية، ثم المحمة (مسطرد) ثم لينتوبوليس (تل اليهودية بجوار شبين القناطر الحالية) ثم بلبيس وبوباستيس وفاقوس والفرما والعريش، ثم غزة، فالناصرة، وهناك أقامت فترة طويلة (لوقا ٢:٤٢) حتى وقت بدأ. خدمة الفادي في الثلاثين من عمره.

وقد درس الأثري **جرجس داود** فكرة بدء خط سير عودة العائلة المقدسة من أسيوط، دراسة علمية، حيث وجد أن أسيوط كانت تسمى في العصر الفرعوني "تب شمع" بمعنى رأس أو (نهاية) الجنوب- كما أن كلمة أسيوط تعني الحارس، وذلك بسبب موقعهاالجغرافي عند تلاقي عدة طرق إلى الواحات والشمال والجنوب (استناداً للدكتور سليم حسن).

وتكاد تتفق المصادر الكنسية والتاريخية على أن العائلة المقدسة ذهبت إلي أسيوط، في طريق عودتها لفلسطين- وأن مرسى السفن المتجهة إلى منف كان هناك، إذ غالباً لم يكن هناك مرسى قرب القوصية، لأنه كانت كثيراً ما تهب على هذه المنطقة رياح عاصفة، بالإضافة إلى أن شواطيء النيل في هذه المنطقة رملية، بما لا يسمح بوجود مرسى(١).

---

(١) جرجس داود، **عودة العائلة المقدسة**، وطني، ٥ / ١٢ / ١٩٩٩ .

المراجع

أولاً- الكتاب المقدس

ثانياً- رسائل جامعية

أشرف سيد محمد البخشونجي، **كنائس ملوي الأثرية: دراسة أثرية معمارية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، قدمت لكلية الآثار بجامعة القاهرة، ١٩٩٥ .

ثالثاً- مراجع متنوعة:

(١) الأنبا اغريغوريوس، **الدير المحرق: تاريخه ووصفه وكل مشتملاته**، القاهرة، أسقفية الدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي، القاهرة، د.ت.

(٢) آمال محمد الروبي، **مظاهر الحياة في مصر في العصر الروماني، اجتماعياً واقتصادياً وإدارياً**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥ .

(٣) دكتورة آمال الروبي (مترجم)، نافتالي لويس، **الحياة في مصر في العصر الروماني**، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧ .

(٤) تقي الدين أحمد بن على المقريزي، **خطط المقريزي**، طبعة دار التحرير، الجزء التاسع.

(٥) جرجس حلمي عازر، **كنائس فيها أسرار**، القاهرة، مكتبة المحبة، ١٩٩٣ .

(٦) جيرارفيو، دقادوس: **والدة الإله القديسة العذراء مريم**، ١٩٦٥ .

(٧) جيرار فيو (الأب)، **تاريخ فاقوس وأرض جاسان**، فاقوس، ١٩٧٤ .

(٨) الأنبا ديمتريوس (أسقف ملوي)، **رحلة العائلة المقدسة في ملوي**، ملوي، ١٩٩٩ .

(٩) دكتور رشدي سعيد، **نهر النيل: نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل**، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٢ .

(١٠) دكتورة زبيدة محمد عطا، **إقليم المنيا في العصر البيزنطي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢ .

(١١) دكتورة سعاد ماهر، **محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي**، القاهرة، ١٩٦٦ .

(١٢) دكتور صبري أبو الخير سليم، **تاريخ مصر في العصر البيزنطي**، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧

(١٣) دكتور صبحي شنوده، **مصر المباركة**، القاهرة، مكتبة المنار، ١٩٩٩ .

(١٤) الأنبا صموئيل والمهندس بديع حبيب، **الكنائس والأديرة القديمة بالوجه البحري والقاهرة وسيناء**، القاهرة، معهد الدراسات القبطية، ١٩٩٥ .

(١٥) القس عبد المسيح لبيب، **مصر والمصريون في الكتاب المقدس**، الإسكندرية، ١٩٩٣ .

(١٦) على رفاعة الأنصاري، **بين الماضي والحاضر**، بحث في كتاب: **الشرقية وسيناء**، الزقازيق، منطقة الزقازيق التعليمية، ١٩٤٩ .

(١٧) علماء الحملة الفرنسية، ترجمة زهير الشايب، **وصف مصر**، الجزء

الثالث، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤ .

(١٨) فرنسوا دوماس، **آلهة مصر**، ترجمة زكي سوس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، سلسلة الألف كتاب الثاني.

(١٩) مدرسة العائلة المقدسة، **مائة عام في خدمة التربية في مصر (١٨٧٩-١٩٧٩)**، القاهرة، ١٩٧٩ .

(٢٠) القمص ميصائيل بحر، **تاريخ القديس الأنبا يوحنس القصير**، القاهرة، ١٩٥٧ .

(٢١) مطرانية الزقازيق ومنيا القمح، **عذراء الزقازيق، لم ينته بعد عصر المعجزات**، الزقازيق، ١٩٩٨ .

(٢٢) دكتور ميخائيل مكسي اسكندر، **المسيح في مصر**، القاهرة، مكتبة المحبة، ١٩٩٩ .

(٢٣) دكتور ناصر الأنصاري، **موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم**، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٧ .

(٢٤) الأب يعقوب موزر، **جان فرانسوا شامبليون كاشف الكتابة واللغة الهيروغليفية**، الزقازيق، ١٩٣٢ .

(٢٥) الأب يعقوب موزر، **تاريخ مجيد انطوى وآثار رهينة انمحت**، رسالة مارمينا، ١٩٤٥ .

(26) Meinardus, Otto F.,**Two Thounds Years of Coptic Christiani-**

ty, Cairo, American universty, 1999 .

(27) Meinardus otto, **In The Steps of the Holy Family from Bethle hem to upper Egypt,** Cairo Dar Al Marref, 1963.

(28) A Ling, Chales F., **Egypt Bible History From Earliest Times To 1000 B.C,** Michigan, Baker Book House, 1981 .

(29) Habashi, Labib, **Tell Basta,** Cairo, 1963 .

رابعاً- دراسات ومقالات منشورة في دوريات:

(١) أديب نجيب، **اكتشافات أثرية هامة في الشيخ عبادة،** دراسة نشرت بمجلة أجنحة النسور،

(٢) أديب نجيب، **أون،** دراسة نشرت بمجلة أجنحة النسور، أكتوبر ١٩٧٧ .

(٣) الأنبا اغريغوريوس، **المسيح يدخل مصر ويبارك شعبها وأرضها،** مقال بجريدة وطني، ٤ يونيو ١٩٨٩ .

(٤) الأنبا اغريغوريوس، **المسيح في مسطرد،** جريدة وطني.

(٥) حسام عبد ربه، **شجرة مريم.. يتبرك بها المسلمون والمسيحيون،** مقال بجريدة الأخبار.

(٦) قداسة البابا شنوده الثالث، **رحلة العائلة المقدسة في مصر،** مجلة الهلال، يناير ١٩٨٦ .

(٧) قداسة البابا شنوده الثالث، **دروس روحية من مجيء العائلة المقدسة إلى مصر**، مقال بجريدة وطني، ١٩٩٧/٦/٨ .

(٨) الراهب صموئيل السرياني (الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر حالياً)، **بازيليك الأشمونين**، رسالة المحبة، يونيو ويوليو ١٩٨٥ .

(٩) القمص صموئيل تاوضروس السرياني حول: كرسي المنصورة، مجلة مدارس الأحد.

(١٠) منى الملاخ وباسمة وليم، **مولد العذراء في جبل أسيوط**، مجلة المصور، ١٩٩٨/٨/٢١ .

(١١) القمص ميصائيل بحر، **هل زارت العائلة المقدسة منطقة دير الجرنوس؟** جريدة وطني، ١٩٦٦/٦/٥ . انظر أيضاً تعليق الدكتور لبيب يعقوب صليب على هذا المقال بنفس الجريدة، عدد ١٩٦٦/٦/١٩ .

(١٢) القمص ميصائيل بحر، **القديس أبو فانا وديره بالأشمونين**، مجلة الكرازة، ١٩٧٨/١٢/١٣ .

(١٣) القمص ميصائيل بحر، **القديس الأنبا أبولو وديره في الأشمونين**، مجلة الكرازة، ١٩٧٩/٨/١٧ .

(١٤) دكتور ميخائيل مكسي اسكندر، **مدينة سخا**، وطني، ١٩٩٩/٤/٢٥ .

(١٥) الأب يعقوب موزر، **دخول السيد إلى مصر وهو أكبر حدث في تاريخ مصر والصفحة الأولى من مسيحيتنا**، مجلة الصلاح، مارس ١٩٣٣ .

(١٦) يسى عبد المسيح، **مجيء العائلة المقدسة إلى مصر**، مقال في مجلة الأنوار ١/٦/١٩٤٦ وأعيد نشره في رسالة مارمينا، العدد الخاص بمقالات المرحوم يسى عبد المسيح عن: طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وعقائدها، الإسكندرية، ١٩٨٦ .

ملاحق

(١)

دروس روحية من
مجيء العائلة المقدسة إلى مصر[١]

١- احتمال الضيقات :

يقول الكتاب المقدس "كثيرة هي أحزان الصديقين، ومن جميعها ينجيهم الرب" (مز ٣٤: ١٩). ولكن هنا السيد الرب يتعرض لنفس الضيقات، ومن خليقته. هيرودس الملك يفكر في قتل الطفل يسوع، فيهرب من وجهه إلى مصر.. ولم تكن الرحلة إلى مصر سهلة. لقد قطعت العائلة المقدسة مئات الكيلومترات ركوباً على حمار أو سيراً على الأقدام، في الصحراء في حر النهار وبرد الليل، من فلسطين إلى مصر.

ولم تقتصر الضيقات على تهديد هيرودس للمولود بالقتل، ولا على مجرد صعوبة الرحلة، وإنما أيضاً ما لاقوه في مصر من اضطهاد وطرد ، نتيجة تحطم المعابد الوثنية .

حسب نبوءة إشعياء النبي "هوذا الرب... قادم إلى مصر.. فترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها" (إش ١٩: ١).. وتكون نتيجة سقوط الأوثان أن يطردهم الأهالي من المدينة، فيذهبوا إلى غيرها، ويتكرر الطرد منها لنفس السبب.

---

(١) عن مقال بهذا العنوان لقداسة البابا شنوده الثالث ، وطني ، ١٩٩٧/٦/٨.

ولكن نتيجة لهذا كله، تباركت كثير من مدننا بذهاب العائلة المقدسة إليها.

٢- حيل ومؤامرات الأشرار

يخاف هيرودس حينما يسمع من المجوس أن "المولود ملك اليهود" (مت ٢:٢)، فيفكر في قتله. ولكنه إذ لا يعرف من هو ذلك المولود على وجه التحديد، فإنه في غضبه "أرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وكل تخومها من ابن سنتين فما دون..." (مت ٢:١٦).

وهنا نتذكر قول المزمور الثاني. لماذا ارتجت الأمم، وتفكرت الشعوب بالباطل قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه: لنقطع أغلالهما ولنطرح عنا نيرهما" (مز ٢: ١-٣).

إذن إن قابلتك ضيقات ومؤامرات للأشرار في حياتك، قل هكذا حدث للسيد المسيح نفسه. لقد كان تآمر الأشرار ضد السيد المسيح في منتهى القسوة والعنف. وفي ذلك تذكر أيضاً قول المزمور "الساكن في السموات يضحك بهم. الرب يستهزيء بهم" (مز ٢: ٤).

٣- الأشرار- في قسوتهم وشرهم- لا يستفيدون من عمل الله :

لم يستفد هيرودس من النبوءات التي تليت عليه من الكتبة (٢: ٥ و٦) . فالكتاب قد ذكر نبوءة، لابد أنها ستتحقق.. ولكن هيرودس -في شره وقسوته وخوفه من ذلك الملك الآتي- لم يستفد من النبوءات، بل وقف ضدها.. وأيضاً لم يستطع أن يصبر، حتى يكبر ذلك المولود، ويصبح في سن من ينصبونه ملكاً، وحينئذ يعتبره منافساً له...:

كذلك الشيطان الذي أهاج هيرودس، لم يستفد أيضاً من أمجاد الميلاد: سواء من الأحلام والرؤى المقدسة التي ظهرت، ولا من قول الملاك جبرائيل للقديسة العذراء، "لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" وأنه "يجلس علي كرسي داود أبيه، ولا يكون لملكه نهاية" (لو ١:٣٥، ٣٢).

ولا استفاد من ظهور الملائكة للرعاة وتبشيرهم بمخلص هو المسيح الرب (لو ٢: ١١).

٤- مهما تآمر الأشرار، فإن الحفظ الإلهي أقوى وأعظم :

أمر هيرودس الملك بقتل كل أطفال بيت لحم، ظناً منه أن يكون المسيح واحداً منهم. فتكون النتيجة أن هذا الواحد الذي قصد أن يقتله، هو الوحيد الذي ينجو.. إنه الحفظ الإلهي مهما كانت قوة الشر... وهكذا مات هيرودس، وعاش المسيح.. ما أجمل قول الرب لإرميا النبي "يحاربونك ولا يقدرون عليك، لأني أنا معك -يقول الرب- لأنقذك" (إر ١:١٩). وقوله للقديس بولس "لا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع ١٨:١٠).

٥- تدخل الله وسط الضيقات :

لم يكن يوسف النجار ولا مريم العذراء، يعرفان شيئاً عن تدبيرات هيرودس ومؤامراته.. ولكن الله العارف بكل شيء تدخل في الوقت المناسب، وقبل أن يصدر هيرودس أمره بقتل الأطفال، والوحي إلي يوسف في حلم قائلاً: "قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلي مصر. وكن هناك حتى أقول لك.." (مت ١٣:٢).

هذا من جهة الله وعنايته. وماذا عن يوسف ومريم؟

٦- السير بحسب الإرشاد الإلهي :

ما أجمل أن تكون تحركات الإنسان وتصرفاته تحت الإرشاد الإلهي. هنا يقول ملاك الرب ليوسف: "خذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر". "فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً، وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس". "ولما مات هيرودس، إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلاً: "قم وخذ الصبي وأمه، واذهب إلى أرض إسرائيل. لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي. ففعل كذلك" (مت ٢:١٢-٢١).

هكذا كان داود النبي أيضاً في استشارته للرب، في حروبه وتحركاته.تقوده السحابة بالنهار، وعمود النار بالليل "كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود السحاب، ليهديهم في الطريق. وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. لكي يمشوا نهاراً وليلاً" (خر ١٣:٢١).

هنا نذكر أيضاً ما قيل عن يعقوب أبي الآباء قبل نزوله إلى مصر لكي يلتقي بابنه يوسف. كلمه الرب في رؤى الليل وقال له "أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر.. أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضاً" (تك ٤٦: ٢-٤).

٧- عدم الشك في وعود الله ومعاملاته :

كان الأمر بالهروب إلي مصر يبدو غريباً، وربما -حسب الظاهر- لا يتفق مع وعود الله السابقة. الوعود بأنه المخلص، المسيح الرب، الذي يجلس على كرسي داود أبيه، ولا يكون لملكه نهاية (مت ١، لو ١). فكيف أن هذا المولود لا يستطيع أن يخلص حتى نفسه، ويضطر إلي الهروب من وجه هيرودس الملك!!

ولكن يوسف النجار، الرجل البار، لم يشك بل أطاع.. ليس لنا أن نفحص أوامر الله، ولا أن نشك في مواعيده. بل علينا أن نقبل إرادته الصالحة. وإن كانت حكمته لا تبدو واضحة لنا اليوم، فلابد أنها ستتضح لنا فيما بعد. فلنقبلها إذن بالإيمان.

هكذا حدث عندما طلب الله من أبينا إبراهيم أن يترك أهله وعشيرته وبيت أبيه (تك ١٢: ١). وعندما أمره الرب أن يقدم أبيه محرقة (تك ٢٢:٢). إبراهيم لم يشك، بل آمن وأطاع. وهكذا فعل يوسف النجار...

أحياناً كان يخامر البعض شيء من التساؤل. مثلما قال ملاك الرب لجدعون "الرب معك يا جبار البأس" فأجابه جدعون "أسألك يا سيدي: إذا كان الرب معنا، فلماذا أصابتنا كل هذه (البلايا)؟ وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا؟" (قض ٦: ١٢، ١٣). وكان جدعون من رجال الإيمان (عب ٣٢:١١). إنه سأل، ولكن لم يشك.

٨- لم يكن الهروب ضعفاً :

لم يكن هروب الرب ضعفاً، وإنما كان حكمة في التدبير الإلهي.

كان باستطاعته أن يفني هيرودس إذا شاء ذلك، أو أن يضربه ملاك الرب فيموت ويأكله الدود، كما حدث مع هيرودس آخر في أيام الآباء الرسل (أع ٢٣:١٢). ولكنه لم يفعل، لأن الساعة لم تكن قد أتت بعد لكي يظهر معجزاته في اليهودية، ولأنه أراد أن يعطي بلادنا البركة، ويعطي العالم درساً في الاتضاع والاحتمال. وأيضاً ليعطينا مثالاً عملياً لتنفيذ وصيته التي قالها فيما بعد: "لا

تقاوموا الشر" (مت ٥:٢٩). وأيضاً...

٩- الرب لم يستخدم لاهوته لراحة ناسوته :

إنه مبدأ سار عليه في كل فترة تجسده على الأرض. كان يستخدم لاهوته لراحة الناس. إنما من أجل راحته الشخصية، فلم يفعل.. بل إنه احتمل الجوع والعطش والتعب وإهانات الناس، دون أن يستخدم لاهوته، ودون أن يحول الحجارة إلي خبز حسب إغراء الشيطان (مت ٤:٣). ودون أن ينزل ناراً من السماء لتأكل السامريين الذين رفضوه، حسبما اقترح تلميذاه يعقوب ويوحنا (لو ٩: ٥٢-٥٦) .

١٠- إنه كان يخفي لاهوته عن الشيطان :

الشيطان الذي لو تأكد تماماً من لاهوته، لكان يعمل على عرقلة قضية الخلاص. فكان الرب يحيره. في كل عمل قوي يدل على لاهوته، يعقبه تصرف آخر من ضعف ظاهري يحير الشيطان. وهكذا بعد أمجاد الميلاد: من ظهورات الملائكة وإعلاناتهم، ومعجزة الميلاد من عذراء، وتحقق نبوءة إشعياء (إش ٧: ١٤) (إش ٩:٦ و٧).. كان الهروب إلى مصر مناسباً لكي يقدم توازناً مع تلك الأمجاد يحير الشيطان.

وهو درس لنا، كلما نجد ضعفاً ظاهرياً، يشكك في لاهوت المسيح.

١١- هو تواضع الرب :

التواضع الذي ظهر في التجسد، وفي الميلاد في مزود بقر، والذي سيظهر فيما بعد في تقدمه لمعمودية التوبة.. ظهر أيضاً في الهروب من وجه هيرودس...

ومن العجيب أن الرب قد سمح أن تسجل في الإنجيل قصة هروبه إلي مصر، دون أن تسجل معجزاته التي أجراها في مصر، والتي عرفناها عن طريق التقليد والتاريخ.

(٢)

أمام شجرة العذراء

"من مصر دعوت ابني"

(متى ٢: ١٥)

للشيخ الدكتور عزت زكي

بالقرب من القاهرة بضاحية المطرية، تقوم وسط الحقول شجرة عتيقة للغاية من نوع أشجار التين، قد تهاوت أغصانها وأسند جذعها بسقالات خشبية. ولهذا لا يستطيع إنسان أن يحكم تماماً كم تبلغ هذه الشجرة من العمر.

وهناك تقليد قديم يقول إن السيدة العذراء، في أثناء هروبها إلي مصر، استراحت تحت تلك الشجرة. أمام هذه الشجرة وقف الشاعر، وتواردت لديه خيالات الماضي والحاضر:

شيخة النبْت دوحة المجد أنتِ

شاب قرنُ التاريخ فيك وشبتِ

وتهاوت غصونك الصيدُ صرعى

وإلى صفحة الرغام هويتِ

فَوَّقَ العمر سهمه في الحشايا

فتهالكت للتراب وذُبتِ[١]

---

(١) سدّد والرغام التراب

أم لدى سيدّ الدهور خشيت

في صغار وذلّة وركعتِ

أتراك من عهد عِدنٍ جئتِ؟

أم من البدء في الوجود نَبتِ

أم أتيت للأرض من جنة الخلد

مع الزائر الكريم أتيتِ؟

غرستك يمينُ باري البرايا

وتشوّقت قربه فدنوتِ

وتركتِ ديار مجدٍ وعز

وهجرت أمجادها حيث كنتِ

من ترى قد سقاكِ من وابل الغيث

شآبيت رحمة فنموتِ؟

من ترى قد رعاكِ والعود غضٌ؟

من ترى شذّب الغصون فعشتِ؟

من ترى قلّب التراب وأعطى

من سمادٍ ونعمة فكبرتِ؟

هيه يا شيخة الهدى حدثيني

وذرين مسجلاً ما تلوث

خبّرينا عن أمة جرّعوها

من نقيع الحمام والأبسنت[1]

خبّرينا عن دولة دفعوها

للظى والجحيم... هلا رأيتِ؟

خبّرينا عن الحرائر دوّي

في فيافٍ صياحها من عنْتِ[2]

مضغوا الطين من طوى وتهاووا

جثثاً تحت ظلك الحرِّ أنتِ[3]

أيُ روما- والويلُ حاق بروما

أين راحت ربّ الحجى، أين رحتِ؟

دولة الظلم ساعة في البرايا

تستبيح الحمى بسيفٍ وكبْتِ

---

(١) الحمام -الموت، والأبسنت نبات مر المذاق.

(٢) السيدات النبيلات- فيافي صحاري العنت الضيق والمذلة.

(٣) طوى- جوع.

فإذا ساعة المهيمن دقّت

في حضيض الردى هوت... فهويتِ

وعن الطفل خبرينا وقولي

كيف أكرمت ضيفنا فكرمتِ

أتراك مددت ظلاً كريما

وعلى طيفه النخيل بسطتِ؟

وصددتِ شرَّ الأشقة والغيظ

وظللتِ رأسه وحميتِ

ووهبتِ له ثماراً وريا

من عطا يارب السماء وهبتِ؟

يا له زائرٌ ورب كريم

ضمّه القفرُ ماله من بيتِ!

خبرينا عن أمه كيف راحت

تسكب الدمع حسرة وفي صمتِ

وهي تغفو جبناً وتفزع أحياناً

إذا الريح داعبتك فنُحْتِ

وإذا الطفل من جفافٍ تلوّى

مزّق النوح قلبها دون صوتِ

وعلى الصدر هدهدته بدمعٍ

هية بنت الكرام كم قاسيتِ

هل أراك وقد تعاظم حملٌ

عبْر أميال شاسع هاجرتِ؟

أم أرى الجند حين شنوا هجوماً

ومن السيف مُسْلطاً وليتِ؟

أم أرى الجوع والظماء وظل الموت

وسط القفار قد حُمِّلْتِ؟

أم أراك وسط الهياكل تسعين لقوم

لم يعبدوا ما عبدتِ

في سلامٍ؟! أم وسط هزءٍ وعارٍ؟

قد تضرعتِ في الدجى وابتهلتِ؟

خبرينا عن الشهور عن الصوم

عن السُبح وابتهال السبتِ

في ديارٍ ترجو "إيزيس" فتدعوُ

وتناجي "حور" وتعنو "لستٌ"[1]

هيه يا أمة الهياكل عودي

لإله موّحد ناجيتِ

يوم "آتون" مشرقاً بهدى التوحيد نادي وللندا لبيتِ

كم إلى الصخر قد دعوتِ وسبحت وكم للنجوم قد صلّيت

فإذا كوكب الصباح بهيا حلَّ بالمجد مشرقاً فأنرتِ

وغداً ثغرك الجميل مناراً تشع بالعلم والجلال ففُقْتِ

والصحارى وهادها ورباها

أزهرت مثل روضة فسموتِ

ومن العزلة الرهيبة سادت

فلسفات أساسها من عرفتِ

هزّت الفكر بالأولب وهبتِ

في صراع فطفر فظفرتِ

(١) أسماء لبعض الآلهة التي كان المصريون القدامى يتعبدون لها.

وهوت للثرى معاقلُ روما

على صَرْحها الصليب رفعتِ

وسرت آية المسيح على الكون

كبعث الرفات بعد الموت.

شيخت النبت دوحة المجد أنتِ

شاب قرنُ التاريخ فيك وشبتِ

بهُدى الأمس حدثيني وزيدي

وذريني مردداً ماَ تلَوْتِ

٤٥ ٣٩

في الزمان الذي نزلت فيه الي ارض مصر وطلعت
الي الصعيد وكان هيرودس يطلب الطفل وامه
وكان اتفق للبطريرك يطلع الي الصعيد بامر
الملك المحب لله ثاوضاسيوس لما سلم اليه
مفاتيح البرابي بارض مصر من مدينة الاسكندرية
... ... المال الذي فيهم ويلزم به
الكايس الذي يسبح فيه يسوع المسيح ...
البطريرك وصحبته عشرة اساقفة من الصعيد
عرفوه مجد هذا الجبل اشتهي ان يكتسب بركته
قبل ... والفوز وصوله اليه قبل عيد السيدة
الطاهرة ... العشرين من طوبة
... فعيد ... جماعة الرهبان
الذي في ذلك الجبل ... ان نعيد معهم في عيد السيدة الطاهرة
... سلام الله ... علينا ... امين

صفحه من مخطوطة رؤيا البابا ثاوفيلس - مخطوطة
محفوظة بمكتبة دير القديس الأنبا مقار

هذا الكتاب:

- يقدم إجابة على عديد من التساؤلات الهامة مثل:
  - . كيف دبرت العائلة المقدسة نفقات الرحلة إلى مصر ؟
  - . ما هي المصادر التاريخية للرحلة ؟
- يحوى دراسة تاريخية وأثريه، حول المناطق، المتفق بين اغلب الكتاب، على زيارة العائلة المقدسة لها.
- وآياً كانت الخلافات في الرأي حول خط سير العائلة المقدسة، فإننا نتمسك بالحقيقة الكتابية، أن السيد المسيح جاء إلى بلادنا الحبيبة مصر. مع أمه السيد
ويوسف النجار. وعاش فترة على أرضها، وشر



١٠١٠٠٢٨٤

دار الثقافة